OPEN ACCESS
Crossref DOI: https://doi.org/10.35560/jcofarts1277

فلسفة الزمن في الفنون المعاصرة

د. عبير أحمد الفتني[1]

Al-Academy Journal-Issue 110 ISSN(Online) 2523-2029/ ISSN(Print) 1819-5229
Date of receipt: 9/9/2023 Date of acceptance: 3/10/2023 Date of publication: 15/12/2023

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License

الملخص

يمثل الفن التشكيلي جزءً من ثقافة المجتمع؛ وقد واكب تطور الفن اقتحام عوالم جديدة عرفت بالبعد الرابع، فبعد أن دخل الفن حدود الهندسة والاختزال؛ بدأ يقتحم اللامعقول، فتغير شكل الفن وفلسفته، وانتقل من الحداثة إلى ما بعدها إلى المعاصرة؛ متحولاً من الهيئة الشكلية إلى هيئة رمزية ذات مضامين فلسفية ترتبط بالمؤثرات الضوئية والسمعية والحركية كونها تجسد الزمن، فأصبح المفهوم هو سيد الفكرة. ويهدف البحث إلى التعرف على مفهوم الزمن وأنواعه، ثم المفهوم الفلسفي للزمن وانعكاسه على الفن المعاصر، من خلال الدراسة التحليلية لمختارات من الفنون المعاصرة القائمة على تحقيق فلسفة الزمن.

الكلمات المفتاحية: فلسفة الزمن، الفنون المعاصرة.

مقدمة:

استدل الانسان منذ بدء الخليقة على مرور الزمن، وأهميته؛ لكونه من أهم العناصر الكونية، فقد استدل عليه الإنسان البدائي في عصور ما قبل التاريخ من خلال مشاهداته لظواهر الطبيعة المختلفة كالليل والنهار واختلاف الأهلة القمرية، وغيرها من مظاهر الحركة الكونية، كذلك مع الايقاع الحركي المنتظم لدقات قلبه، فظل منشغلاً بقضية الزمن حيث يجده في كل ما يحيط به، "إلا أنه ليس له معنى إلا في وجود حركة لأشياء تميزه تماماً كالألوان التي لا نشعر بها إلا في وجود العين المبصرة" (Hasab Alnabii, p. 4) .

ولقد انشغل العديد من الفنانين بإظهار دلالات الزمن والإيحاء به خاصة في خضم مجتمع سريع الحركة تحول إلى مجتمع الكتروني؛ "لم تعد الحركة الحقيقية فيه تحدث بواسطة البشر؛ مثلما تحدث بواسطة المعلومات الالكترونية، فأصبح الزمن والحركة جوهر الحياة في سياق المجتمع الحالي" (Zettl, 1990, p. 238) ، لذلك أصبح الزمن من القضايا المحورية بالنسبة للفن التشكيلي، ويواجهه الفنان حينما يريد التعبير عنه أو عن الأشياء التي هي جزء منه أو حتى يدخل الزمن كعنصر أساسي في تحديد كيانها" (Ismail, 1974, p. 207) .

لقد أثبتت العلوم الحديثة أن الزمن ليس كياناً مادياً له حدود، وأن كل لحظة بمفردها هي في الوقت نفسه لحظة شاملة ومستوعبة للزمن بأكمله، يحدث فيها عدد لا يحصى من الأشياء، مما جعل

[1] كلية التصاميم والفنون /جامعة جده- جده/ المملكة العربية السعودية.

الفنانين يعيدوا النظر في الطريقة التقليدية لتناول الزمن في العمل الفني؛ ويدركوا أنهم في حاجة إلى لغة فنية جديدة تستخدم مفردات ووسائل تعبير جديدة تستوعب الزمن في حركته الممتدة (Ismail, 1974, p. 244) .

ومروراً بفنون الحضارات كان للزمن أهمية بارزة في تسجيل كافة الأحداث اليومية والمشاهد المختلفة التي شملت كافة مناحي الحياة وعبرت عن الاستمرارية والتطور، مع ظهور المدارس الحديثة كان للزمن أهميته الكبرى في أعمال المدرسة التأثيرية التي كانت ترتبط ارتباطاً وثيقاً بزمن تأثير ضوء الشمس على كافة الأشياء، فبدأ التأثيريون يدرسون تأثير ضوء الشمس على الأشكال ومدى تغيرها خلال ساعات النهار المختلفة، فاعتمدوا على التوقيت الزمني، والذي يعد "أي وقت محدد من الليل والنهار، والذي يتضح من طبيعة الاضاءة، وكيفية الانعكاسات واختلاف الألوان (Sobhi, 1995, p. 242) ، وبذلك اهتم كلود مونيه Claude Monet بتسجيل لحظات من الزمن في أعماله من خلال الضوء. ومع ظهور المدرسة المستقبلية فقد ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالزمن، وأثبتت أن الزمن غير مطلق ولكنه نسبي، من هنا كانت فكرة التزامن Simultaneity التي تعد امتداداً للبعد الرابع، حيث يحدث تزامن بين كل الأحداث في وقت واحد محدد(http://www.idwald/surrealismspaper(wep).htm1)، ثم أكد مارسيل دوشامب Marswl Du Chamb فكرة الزمن من خلال عمله (عارية تنزل الدرج Nude Descending the Stairs) حيث صور ايحاءً بامرأة في حركات تنازلية متزامنة، فأوجد الحركة والزمن بصورة ضمنية (htpp://www.artandculture.com/arts/movement?movementId=1037)، وبتطور الفنون ظهرت اتجاهات عديدة خاصة فيما بعد الحداثة والفنون المعاصرة؛ كان تسجيل الزمن فيها هو العامل الرئيسي وسوف تلقي الباحثة الضوء على ذلك في محاور البحث.

مشكلة البحث:

مما سبق تتحدد مشكلة البحث في التساؤل الآتي: هل يمكن إثراء العملية الإبداعية من خلال الدراسة والتحليل لماهية الزمن ومفاهيمه الفلسفية وانعكاساتها على الفن المعاصر؟

فرض البحث: يفترض البحث أنه يمكن إثراء العملية الإبداعية من خلال الدراسة والتحليل لماهية الزمن ومفاهيمه الفلسفية وانعكاساتها على الفن المعاصر.

أهداف البحث: يهدف البحث إلى:

1- إلقاء الضوء على الزمن .. مفهومه وأنواعه وفلسفاته.
2- الكشف عن المفهوم الفلسفي للزمن وانعكاساته على الفن التشكيلي المعاصر.
3- الكشف عن أنواع الزمن وطبيعته داخل العمل الفني التشكيلي.
4- دراسة تحليلية لمختارات من الفنون التشكيلية المعاصرة القائمة على تحقيق فلسفة الزمن.

أهمية البحث: يهتم البحث بالآتي:

1- التعرف على بعض مفاهيم وأنواع وفلسفة الزمن وطبيعته داخل الأعمال الفنية.
2- التعرف على المفهوم الفلسفي للزمن وانعكاساته على الفن المعاصر.
3- إلقاء الضوء على الصياغات التشكيلية المتنوعة للزمن في الفنون المعاصرة.

4- اثراء المكتبات الأكاديمية بموضوع البحث.

حدود البحث: يقتصر البحث في حدوده الموضوعية على دراسة:

1- الزمن .. مفهومه وأنواعه وفلسفاته.
2- المفهوم الفلسفي للزمن وانعكاساته على الفن التشكيلي المعاصر.
3- أنواع الزمن وطبيعته داخل العمل الفني التشكيلي.
4- مختارات من الفنون المعاصرة القائمة على تحقيق فلسفة الزمن.

وقد تم تصنيف الأعمال المختارة التي عبرت عن الزمن وفقاً للمعايير التالية:

- أعمال فنية قائمة على اللحظة الزمنية في الصور الثابتة والمتحركة.
- أعمال فنية تعبر عن الزمن من خلال الضوء.
- أعمال فنية تعبر عن المفهوم التتابعي للزمن.
- أعمال فنية تعبر عن الزمن الضمني من خلال الايحاء بالحركة.

منهج البحث: يقوم البحث على المنهج الوصفي القائم على التحليل، وذلك من خلال دراسة:

1- الزمن .. مفهومه وأنواعه وفلسفاته.
2- المفهوم الفلسفي للزمن وانعكاساته على الفن المعاصر.
3- أنواع الزمن وطبيعته داخل العمل الفني.
4- دراسة تحليلية لمختارات من الفنون المعاصرة القائمة على تحقيق فلسفة الزمن.
5- الإطار العملي للبحث.

المبحث الأول: الزمن .. مفهومه و أنواعه وفلسفاته:

ماهية الزمن:

1- التعريف الاصطلاحي للزمن:

استعمل الانسان العديد من الكلمات الدالة على الزمن منها ما يأتي بمعنى الفعل: "أبد، دهر، امتد، حان، وقت"، ومنها ما يأتي بمعنى الاسم: "الأبد، الدهر، الحين، السرمد، المدة، الوقت"، كل هذه الكلمات للدلالة على مدة أو وقت طويل أو قصير، وأيضاً للدلالة على ما يجري في هذه الأوقات من أحداث أو أفعال أو قوى يتم بها الفعل" (Al-Alusi, 1977, p. 416) ، و"الزمن والزمان في اللغة العربية كلمتان مترادفتان من حيث المعنى والدلالة" (Al-Alusi, 1977, p. 370) ويقول هارتنر W. Hartner أن الكلمات المستعملة في العربية الدالة على الزمان موجودة في اللغات السامية الأخرى عدا كلمة زمان فهي في اللغة العربية فقط" (Al-Alusi, 1977, p. 416) ، ولفظ الزمن أو Time يستخدم عادة للدلالة على لحظات التغيير، وهذا ما يشير إليه معنى اللفظ في اللغة العربية أو الإنجليزية. أما في اللغة الفرنسية فإن كلمة Temps تستخدم بمعنى حسي أكثر، حيث تعني الطقس أو الحالات المتتابعة للجو، والكلمة اللاتينية Tempus وهي التي اشتقت من منها كلمة Temps وكلمة Time، أما الأصل السنسكريتي للكلمة فإنه يعني "يضيء أو يحرق" وقد يشير هذا الاستعمال إلى الطبيعة الأساسية لخبرتنا بإيقاعات الليل والنهار، فكلمة نهار Day لا تزال تستخدم بمعنى الضوء.

أما في المعاجم والموسوعات العربية والأجنبية فتم تعريف المصطلح كالآتي:

"الزمن اسم لقليل الوقت وكثيره"(Manzur, 1997) ، أما "الحين" فهو اسم كالوقت يصلح لجميع الأزمان (Manzur, 1997) ، "والوقت" هو مقدار زمن الزمان (Manzur, 1997) ، و"الزمان هو الوقت قليله وكثيره، والمتزامن هو ما يتفق مع غيره في الزمن" (المعجم الوسيط)، وعرفت الموسوعة البريطانية Encyclopedia Britannica الزمن بأنه: مفهوم أساسي يتعامل مع وقوع الأحداث، فيكون هناك ترتيب محدد عندما يقع أي حديث غير متزامن في مكان واحد، فإذا كان الحدثين (أ، ب) فقد يحدث (أ قبل ب) أو (ب قبل أ)، وبين كل حدثين غير متزامنين تقض فترة من فترات الزمن، ويستلزم قياس الزمن وجود نظام دقيق يمثل مرجعية لتحديد وقت حدوث أي حدث ويقوم بتقديم فترات زمنية ثابتة (Benton, 1973, p. 115) , وتعرف الموسوعة القياسية الجديدة New Standard Encyclopedia الزمن بأنه: المفهوم الذي يستخدم لوصف كم من الوقت يستغرق وقوع الأحداث، ويتم تسجيله وقياسه بوسائل عديدة، أكثرها شيوعاً ساعات المدد الزمنية التي تقل عن اليوم، والتيجة للمدد الزمنية الأكثر طولاً، ولكن يوجد وسائل أخرى لرؤية الزمن وقياسه كما في النظرية النسبية لأينشتاين على سبيل المثال، فالزمن يعد غير منتظم كما هو في الحياة العادية، ولكنه يتمدد (يتقلص) تبعاً للحركة النسبية، كما يعتمد قياس الزمن على التغيير والحركة أو كلاهما، فبدونهما يكون قياس الزمن مستحيلاً (New-Standard-Encyclopedia, 1991, p. 269) ، كما تعرف موسوعة ستانفورد الفلسفية Stanford encyclopedia of philosophy الزمن على أنه: شيء يمكن أن ندركه ونشعر بمروره بجميع حواسه، ويتم ادراكه من خلال تغيير الأحداث خلال الزمن (http://www.plato.stnprod.edu/entries/time-experience).

2- ماهية الزمن لدى بعض المفكرين والفلاسفة:

يقول (الطبري) أن الزمن هو: ساعات الليل والنهار، وقد يقال ذلك للطويل من المدة والقصير منها (Al-Alusi, 1977, p. 416) ويقول (الخوارزمي) "أن الزمن مدة تعدها الحركة (Al-Alusi, 1977, p. 471) ويقول (ابن سينا) في رسالة الحدود؛ أن الزمن هو: مقدار الحركة من جهة المتقدم والمتأخر (Ibn Sina, 1989, p. 92) وورد عنه أيضاً في (النجاة) وفي (عيون الحكمة) أنه يؤكد الارتباط التام بين الزمن وبين الحركة، فمتى لم يحس بالحركة لم يحس بزمن(http://www.baiajg.com/moson/falsafah/u512cdms.htm)، ويفسر (الأشعري) الوقت بأنه: "الفرق بين الأعمال، وهو مدى ما بين عمل إلى عمل، وأنه يحدث مع كل وقت فعل" (Al-Alusi, 1977, p. 416) ويفرق (البضاري) بين المدة بأنها: "حركة من البداية إلى النهاية، وبيّن أن الزمن قسم من المدة، وأما الوقت فإنه جزء من الزمن، ويرى (أندريه لالاند) Lalande في معجمه الفلسفي والنقدي أن الزمن هو نظام تتابع الأشياء أو الحادثات في تتالي وتلاحق وتقارن (Muhammad, 1986, p. 220) كما يرى (جورج كوبلر) George Kubler في كتابه نشأة الفنون الإسلامية "إن الزمن كالعقل لا يمكن معرفة ذاته أو جوهره، فنحن لا نعرف الزمن إلا بصورة غير مباشرة عن طريق ما يحدث فيه أو بملاحظة التغيير والدوام، وإدراك تتابع الحوادث في الأوضاع المستقرة، والانتباه إلى التباين في سرعات التغيير المختلفة" (Assab, 1989, p. 11) .

3- المفاهيم المتعددة للزمن:

يعتمد مفهوم الزمن على عدة عوامل وجوانب تؤثر فيه وفي تشكيله كمفهوم مرتبط بهذه الجوانب، فمفهوم الزمن قد يتشكل من خلال ثقافة المجتمع ومفاهيمه الاجتماعية والعقائدية، والتطورات الاجتماعية والثورات الاجتماعية الهائلة، التي تتقدم بشكل سريع، وتختلف من مجتمع لآخر، وتقوم الباحثة بعرض مجموعة من المفاهيم المختلفة التي أثرت على تشكيل مفهوم الزمن من عدة جوانب، كما أثرت على دلالاته التعبيرية، في المفاهيم المتعددة للزمن.

- **المفهوم الديني للزمن:**

المفهوم الديني للزمن ليس مفهوم تشريعي تعبدي ارتبط بالعبادات التي ارتبطت بمواعيد زمنية محددة وثابتة كالصلاة والصيام والحج، بحيث أن أدائها لا يتحقق إلا عن طريق الالتزام بأوقات حسب اليوم والشهر والسنة، بل لقد ربط الله الزمن في القرآن الكريم بعدة نواحي وجعل منه مادة تأمل للإنسان من أجل أن يكشف عظمة الله وقدرته من خلال مفردة الوقت ووحدات عناصر الزمن، وضرورة التأمل فيها ودراستها بنظرة موضوعية، كما أقسم به أحياناً ليبين مدى أهميته كما ورد في الآيات: (وَالْعَصْرِ، إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ) (القرآن الكريم: سورة العصر، آية 1، 2)، (وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى، وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى) (القرآن الكريم: سورة الليل، 1، 2)، ولقد وردت فكرة الزمن في القرآن الكريم على مستويين؛ الأول اصطلاحي والثاني نظري فلسفي. أما المستوى الاصطلاحي فيخص مصطلح الزمن، حيث ألفاظه دالة عليه كالدهر والحين والآن والمدة واليوم والأمد والأجل والسرمد والأبد والخلد والوقت والعصر، وغيرهم (Ati, 1980, p. 118) وهي معالجة اصطلاحية ولكنها كانت من الدقة والشمول بحيث أفادت الفلاسفة والمتكلمين المسلمين في تجديد مفهوم الزمن، وتساعدهم أيضاً على الانتقال نحو تأصيل المشكلة وطبعها بالطابع الإسلامي. أما المستوى الثاني فيمكن أن نجد في القرآن الكريم بوادر التقسيم الذي سيعتمده بعض الفلاسفة المسلمين للزمن، وهو تقسيم إلى قسمين، زمن مطلق من خلال مفاهيم السرمد والخلود والدهر الذي يعني الزمن الذي ليس له بداية ولا نهاية (Ati, 1980, p. 123) وقد شكل هذا المفهوم الديني للزمن فلسفة الفن لدى الفنان المسلم، ولم تأتي الفنون الإسلامية بعيدة عن هذا المفهوم، فالفن الإسلامي هو فن المطلق، حيث كان الفنان حراً إلى أبعد حد في اختيار الصيغة والتكوين الذي يؤلفه ويبدعه، ولقد ارتبط الفن الإسلامي بمنظور التوحد الذي قامت عليه العقيدة الإسلامية، وهو مفهوم قديم ولكنه مع الإسلام أصبح أساساً لحضارة المسلمين، ونجده من الوحدات التجريدية الرياضية، الزخرفية لفكرة فناء الدنيا وخلود الآخرة، تلك الوحدة المعروفة باسم الأرابيسك، والتي استمرت عبر العصور مميزة للفن الإسلامي. والقسم الثاني هو الزمن الطبيعي الذي يتضح في اليوم والشهر والساعة وغير ذلك، وقد ظهر هذا النوع في التصوير الإسلامي بالتعبير عن مشاهد الليل والنهار في الوحدات التصويرية، وأحياناً كان الفنان يجمع بين مشاهد الليل والنهار في لوحة واحدة إعطاء الاستمرارية أو الإشارة إلى تسلسل الأحداث. ونجد أن فنون العصر الإسلامي عما عداها من الفنون، تتسم بالتكامل بين القيم المادية والروحية، ولم يكن هناك فن للدنيا وآخر للدين، بل فن واحد للحياة بشقيها.

- **المفهوم العلمي للزمن:**

تؤكد جميع فروع العلم بأن الزمن يعد إطار لهذا الوجود، وكل علم من العلوم له اعتماده الخاص على مفهوم الزمن، فالحياة لا توجد إلا بمقدار ما تتطور في زمن، والمعرفة العلمية على اطلاقها تتشابك تشابكاً خاصاً مع الزمن، فقدرة العلم على التنبؤ التي تتعاظم يوماً بعد يوم وتزداد دقة تعد اقتحام لآفاق المستقبل، أي آفاق الزمن الذي لم يوجد بعد، وكما يوجد التنبؤ العكسي الذي يقتحم الماضي، كأن يستدل العلماء على أوضاع فلكية أو T.dhzdm كانت منذ زمن قريب أو بعيد، فإن تنامي القدرة على اقتحام آفاق الزمن معيار مهم من معايير التقدم العلمي الذي يحرزه الإنسان.

إن حدوث طفرة في العلم والتكنولوجيا وظهور الأجهزة والوحدات الرقمية التي تقوم بتخزين المعلومات والصور وتعيد استدعائها مما حث الفنان المعاصر إلى التجديد والبحث العلمي لخلق علاقات فنية تتوافق مع العالم الذي يعيش فيه، مما أسهم في ظهور الحركة الفعلية من خلال الطاقة المتحركة لإعطاء الأعمال الفنية حركة فنية ومتطورة وممتدة في الزمن حتى أصبحت مشكلة الزمن بالنسبة للفنان المعاصر مشكلة جوهرية ذات أبعاد جديدة لا تكتفي فقط بفكرة الإيحاء بالزمن بل بتجسيده فعلياً مستفيداً بإمكانيات التكنولوجيا الحديثة مما أدى إلى ظهور ما يسمى بالفنون الزمنية Time based-art والتي مكنت الفنان من التحكم في زمن عرض العمل الفني والزمن الذي يستغرقه المشاهد لإدراك وتذوق العمل الفني، وذلك في الأعمال التي يستخدم فيها وسائط إلكترونية ورقمية بعكس الأعمال الفنية ذات الوسائط التقليدية حيث يتحكم المشاهد في زمن الإدراك والتذوق هو كم من الوقت يستغرقه لمشاهدة العمل الفني، وبذلك يكون الزمن من المفاهيم الأساسية في خبرة التذوق، وأحدثت المتغيرات الجديدة في الأشكال والصور وأسلوب عرضها بتوالي معين وزمن محدد مكبرة ومصغرة بنوع من التحكم الذي لم يكن موجوداً من قبل، وكذلك إمكانية استخدام أصوات مجسمة واستدعاء أصوات حية ودمجها بمعادلات رياضية نتيجة للطفرة التي حدثت في عالم الاتصال وبث المعلومات واستقبالها، كل ذلك أدى إلى تغيير إدراك الزمن داخل العمل الفني، هذا وقد تناول الدكتور زويل الزمن بأن له وحدة حددها علمياً، ونال على اكتشافها جائزة نوبل.

- **المفهوم السيكولوجي للزمن:**

لقد مهد كانط Kant السبيل أمام علماء النفس لدراسة المفهوم السيكولوجي للزمن فأصبح المفكرون وعلماء النفس من بعده أقل اهتماماً بفكرة الزمن منهم بإدراك الزمن، ومن هنا تحولت المشكلة بالتدريج بعد كانط من مجال نظرية المعرفة إلى مجال علم النفس، وتبع ذلك ميل متزايد لدراسة المظهرين الأساسيين للزمن وهما التتابع والمدة (Al-Alusi, 1977, p. 377) وأضح علماء النفس أن فكرة التتابع الزمني لا يمكن التوصل إليها والشعور بها إلا عن طريق إدراك وفهم العلاقات التي تربط بين الأشياء والأحداث المتتابعة، وإدراك التتابع في العمل الفني يتطلب إدراك بصري وذهني ونفسي. والتتابع في الفن هو عبارة عن مجموعة من العناصر أو الأحداث التي يتم ترتيبها في تتابع فراغي أو زمني في تغيير إدراك الزمن داخل العمل الفني (Walker, 1992, p. 582)

والفنون التتابعية Serial arts تتطلب نوع من الإدراك الشامل حيث يتم إدراك التتابع بصرياً من خلال إدراك مكونات العمل الفني في رؤية شاملة، كما يتطلب إدراك مفهوم العمل الفني ومضمونه والتعايش مع

أحداثه سيكلوجياً، كما يتضح هذا المفهوم في فنون التحول Transformation art والعمليات Process art حيث يتم تحول المواد المصنوع منها العمل الفني من حالة إلى حالة خلال عملية واحدة أو عدة عمليات في فترة زمنية، كأن يتحول الثلج من حالته الصلبة إلى ماء فيكون في حالة سائلة من خلال عمليات الذوبان، فهنا تنتقل الخامة من حالة إلى حالة في فترة زمنية محددة واحدة، وفي بعض الأعمال الفنية يكون هناك عدة عمليات تقوم بتحويل المواد إلى أكثر من حالة، وبالتالي يكون هناك أكثر من مدرك في العمل الفني، وقد قدم الفنان جان تانجلي J. Tinguely نموذجاً من الأعمال الفنية الحركية التي تقوم بتفجير نفسها ذاتياً بعد فترة من الزمن، مما يدخل المتلقي في حالة تفاعل مع العمل الفني خلال مراحل تحوله من كيان فني إلى حالة الانهيار والفناء كنهاية حتمية لكل شيء في العالم، فيحدث لدى المتلقي تداعيات تؤثر عليه سيكولوجيا وتنقله من حالة نفسية إلى حالة نفسية مغايرة في فترة زمنية محددة.

وقد كان للأبحاث العلمية ونظريات الإدراك أثر كبير في إضافة البعد الرابع (الزمن) كبعد جديد للأبعاد المكانية الثلاثة، والذي يدرك ضمنياً من خلال حركة جسم معين في الفراغ، فأصبحت الأعمال الفنية تتميز بالإدراك المتحرك، فالشكل قد يكون ثابتاً إلا أن الإدراك متحركاً كما في أعمال المدرسة المستقبلية.

وفي الربع الأول من القرن العشرين تحول علم النفس إلى دراسة السلوك المنظم جمالياً، وقدم بول جريس Paul Grease –عالم النفس الفرنسي- تصوراً لمفهوم الزمن يهتم بشكل أساسي بدراسة الطرق المختلفة التي بها يحاول الإنسان أن يتلاءم والفوارق الزمانية الخاصة بوجوده (Al-Alusi, 1977, p. 380) ، وقد استفاد الفنانون من هذا التأثير الزمني على السلوك في الأعمال الفنية في النصف الثاني من القرن العشرين، فبدراسة العلاقة بين الفنان والعمل الفني والمتلقي استطاعوا أن يؤثروا على رد فعل المشاهد للعمل الفني خلال فترة زمنية محسوبة ومحددة من خلال وضع المتلقي في بيئة نفسية تؤثر على تلقيه للعمل الفني وتفاعله معه بحيث يعكس الفنان على المتلقي شعوراً بالتوتر، الترقب، الخوف، الدهشة، ثم ينتقل به إلى جزء آخر من العمل لفترة زمنية أخرى تعكس عليه شعوراً آخراً بالارتياح أو البهجة كما في الأعمال الفنية المجهزة في الفراغ Installation والتي يدخل فيها الفنان المتلقي مثلاً في حيز مظلم لفترة محددة يلعب الزمن فيها دور كبير في التأثير على الحالة النفسية والسلوكية للمشاهد، فإن قلت هذه الفترة الزمنية لا تأتي بالتأثير المرجو منها، وإن زادت تُفقد العمل إثارته ويصاب المشاهد بالملل أو بالخوف الزائد، وبذلك تفقد التأثير المرجو منها لذلك يقوم الفنانين بدراسة التأثير السيكولوجي لتجاوب وتعايش المتلقي مع العمل الفني خلال زمن معين، وعن طريق هذه التأثيرات النفسية يقوم الفنان بتنظيم سلوك المشاهد زمنياً من خلال المراحل التتابعية في إدراك العمل، وذلك قد يكون أيضاً عن طريق استخدام التأثيرات النفسية للألوان المختلفة بمساحات معينة وتعريض المشاهد لها لفترات زمنية محددة، وكذلك الأصوات واختلاف التأثير النفسي لقوة الصوت وتردده وزمنه وإيقاعه الرتيب أو المتغير أو المتوتر، وكذلك قد يستخدم الفنان أنواع من التآلفات في العمل الفني تعطي شعوراً نفسياً بالراحة، وقد يحدث بعض التنافرات التي تعطي شعوراً بالقلق والتوتر مما يؤثر على المتلقي من خلال الزمن النفسي.

- **المفهوم الاجتماعي للزمن:**

يرتبط مفهوم الزمن ارتباطاً وثيقاً بالإنسان الذي يحدده بناءً على معايشته للبيئة التي يعيش فيها من ناحية والمجتمع الذي ينتمي إليه من ناحية أخرى، والزمن الاجتماعي يربط بين التقسيمات زمنية مثل السنة والفصل والشهر واليوم والصباح والمساء والليل والنهار والشرق والغرب وغير ذلك، وبين أحداث ووقائع اجتماعية يمارسها كل مجتمع في كل وقت من هذه الأوقات كالاحتفال بالمناسبات والأعياد المختلفة في مواقيت زمنية تختلف من مجتمع لآخر ويقوم الفن بدور التعبير عن مثل هذه المناسبات وفقاً لكل مجتمع، وأيضاً تختلف المفاهيم الاجتماعية لهذه الأزمنة والأوقات المختلفة من مجتمع لآخر، فوقت الظهيرة مثلاً في المجتمعات العربية يعني الراحة والقيلولة بينما يعني وقت العمل في المجتمعات الغربية، كما يعني وقت الفجر عند المجتمعات الإسلامية الاستيقاظ للصلاة وبداية اليوم والنشاط، فلكل مجتمع مفهومه الخاص عن الزمن، كما يختلف أيضاً هذا المفهوم في المجتمعات الباردة عن المجتمعات الحارة، فقد يقف الزمن وتقف حركة الحياة والعمل في المجتمعات الغير معتادة على البرودة في وقت الشتاء القارص إذا اشتدت برودة الجو وهطلت الأمطار في حين أنه لا يتوقف، وتظل حركة الحياة وينشط أفراد المجتمع في المجتمعات الباردة المعتادة على البرودة والأجواء الضبابية التي عبرت عنها لوحات الفنانين في هذه المجتمعات، في حين عبرت الأعمال الفنية عن الجو المشرق المشمس في وقت النهار في البلاد الحارة والدافئة الذي ظهر في ألوان الشرق الساخنة والساطعة التي توحي بالنهار المشرق.

ويرتبط الزمن الاجتماعي بمجموع الأفراد الذين يكونون العقل الجمعي للمجتمع الذي يشارك بدوره في اعطاء الزمن تصورات مختلفة تتباين من مجتمع لآخر وفقاً للبيئة التي يعيش فيها الإنسان والأسلوب الذي يحيا به في مجتمعه، إلى جانب نوع العمل الذي يقوم به ومعتقده الديني ومستوى تعليمه، كل هذه العوامل تساهم بدور فعال في تحديد مفهوم الزمن في ذهن أفراد المجتمع، ولكل فرد لغته التي يكتسبها من مجتمعه والتي تعكس ثقافة المجتمع، وتحمل تصوره ورؤيته لكل ما حوله، ويقوم الفن بدور كبير في ترجمة هذه الرؤيا فيعبر الفن عن الزمن الخاص بكل مجتمع وبكل عصر، فكلما تقدم الزمن أصبحت المجتمعات تسير نحو السرعة والحركة وأصبح إيقاع الحياة سريع وإيقاع الفن أيضاً، فظهرت أنواع جديدة من الفنون تتماشى مع الزمن الذي يعيشه المجتمع، ففي القرن العشرين مع ظهور تكنولوجيا التصنيع التي أحدثت ايقاعاً مغايراً جعل الناس تتحرك بآلية معينة ظهر معها المجتمع المستهلك لهذه التكنولوجيا، مما أدى إلى ظهور فن العامة pop art الذي عبر عن ايقاع المجتمع السريع الذي قامت ثقافته على الوجبات السريعة والثقافة الاستهلاكية، واتخذ هذا النوع من الفن من الموضوعات التي تشغل الجماهير مادة للتعبير وهدف إلى نقد حياة الإنسان المعاصر السريعة باستخدام الصور الشعبية المتداولة في هذا الوقت في المجتمع الأمريكي كإعلانات السلع والمعلبات المختلفة وعبوات الكوكاكولا وغيرها من الصور، وظهرت في أعمال بعض الفنانين مثل الفنان آندي وارهول Andy Warhol الذي اعتمد على تكرار بعض العناصر الاستهلاكية وصور نجوم السينما كصورة مارلين مونرو تعبيراً عن ثقافة المجتمع التي أثرت على مفهومه للزمن في العمل الفني الذي يتم تلقيه في ضوء المفهوم الاجتماعي للزمن، وفي زمن الثورة الصناعية والتكنولوجية ظهرت فنون الحركة ثم ظهر استخدام الزمن الفعلي في فنون الحركة الفعلية.

أشكال (1،2،3) الفنان أندي وارهول: مجموعة من الأعمال التي تعبر عن الثقافة الاستهلاكية.

وعندما صارت المجتمعات أكثر تقدماً وأصبحت في سباق مع الزمن؛ حل الكمبيوتر محل فرشاة الفنان في ثوان معدودة، فأصبح الزمن زمن الفنون الرقمية في عصر الانترنت التي اختصرت الزمان والمكان، فتغير مفهوم الزمن في المجتمعات المعاصرة وما كان يحسب بالأيام والشهور قديماً أصبح يحسب بالجزء من الثانية في مجتمعاتنا الحالية، وقد فرضت هذه التكنولوجيا الهائلة نوع من العزلة الاجتماعية وزيادة الفجوة والانفصال بين أفراد المجتمع مما جعل فنون ما بعد الحداثة تسعى في المقام الأول لسد هذه الفجوة وإزالة الحواجز بين الفنان والعمل الفني والجمهور، والعمل على مشاركة المتلقي مع العمل الفني والفنان من خلال خروجه للفراغ المطلق للتوحد مع الجمهور مما أوجد تغير في مفهوم العمل الفني وعلى رؤيته وتلقيه خلال الزمن بتغير مفهوم المجتمع للزمن ومعالجته من خلال الفن.

المبحث الثاني: المفهوم الفلسفي للزمن و انعكاساته على الفن المعاصر:

يعد مفهوم الزمن من المفاهيم التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بحياة الإنسان، ويتحدد هذا المفهوم بعاملين:

الأول: عامل مادي، يتمثل في البيئة الطبيعية التي يعيش فيها الإنسان.

الثاني: عامل معنوي، يتمثل في ثقافة المجتمع الذي ينتمي إليه، فكل مجتمع وكل عصر أيضاً عاش تجربته مع الزمن، وعاشها أهل هذا العصر، وصاغها فلاسفته، كما انعكس بشكل كبير على فنون هذا العصر.

وفيما يلي عرض لمفهوم الزمن من وجهة نظر بعض الفلسفات المختلفة:

1- خلود الزمن في الحضارة المصرية القديمة:

أثرت فكرة الخلود كعقيدة وفكر عند الفنان المصري القديم على تصوره للزمن، فصور كل ما هو دائم وليس عرضي، فقدم نوعاً من البعد الزمني في لوحاته حيث قام بتصوير عدة أحداث متعاقبة تمثل أحد الأنشطة التي يمارسها في حياته اليومية، فجمع بذلك بين أزمنة عدة في عمل فني واحد"(Nasr, 1993) كما كان يصور التسلسل الزمني في مجموعة من الصور المتجاورة التي تحكي لحظات الحدث في مواقف متتابعة، وإن ظلت كل صورة مستقلة عن غيرها من الصور، أي ظلت كل صورة مجرد تعبير عن لحظة زمنية بعينها

من ذلك التسلسل الزمني الذي تحكيه مجموعة الصور كمشاهد محاكمة الموتى ببردة آني (كتاب الموتى)، ومشاهد تتويج الملك، ومشاهد الولادة الملكية، والحساب والعقاب، ورسوم الفلك والأبراج، وغيرها من المشاهد المتتابعة التي تصور حدث معين.

شكل (4) مشاهد الحساب في مصر القديمة، كتاب الموتى الفرعوني ، شكلي (5، 6) الجرائم والعقوبات في مصر القديمة.

(https://www.google.com/search?q=%D9%85%D8%B4%D8%A7%D9%87%D8%AF)

كما كان للفنان المصري القديم رموزه التي عبر بها عن أقسام الزمن كفصول السنة والمواسم من خلال مشاهد الحصاد والاحتفالات والأعياد، كما عبر عن الليل والنهار من خلال أشعة الشمس والنجوم الذهبية المرصعة بها أسقف المعابد والمقابر، وبذلك نجد أن هناك مفهوم سائد وموحد للحضارة المصرية القديمة عن الزمن الخالد، والذي أثر على مفهوم الفن وأهدافه، وبالتالي على أساليبه ورموزه التعبيرية الدالة على الزمن.

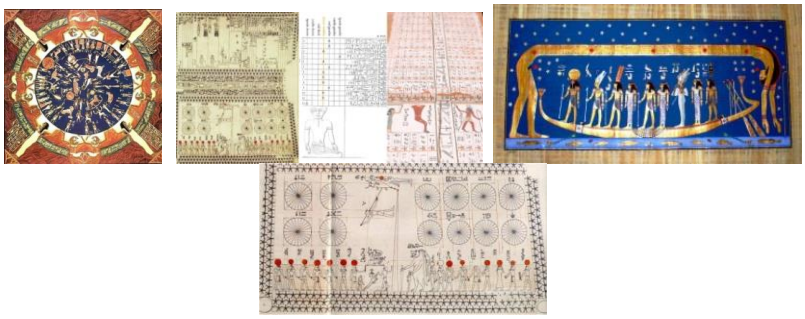

أشكال (7، 8، 9، 10) مشاهد لعلوم الفلك والحسابات الزمنية في مصر القديمة

(https://www.google.com/search?q=%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%84%D9%83).

2- الثبات والتغير في مفهوم الزمن عند الإغريق:

كان لفلاسفة اليونان نظرتهم الخاصة تجاه البعد الزمني، فتميزت معاملتهم لمفهوم الزمن بتأمل طبيعته وماهيته، وكانت الفلسفة من الفروع الهامة التي أثرت في توجهات الفنانين التشكيليين، والتي تحرك ضمنها النظام الفني، خاصة وأن الاتجاهات الفن الفردية والجماعية تعتمد على نظريات الفلسفة، حيث كان الإغريق يصورون الزمن دائرياً لا بداية له ولا نهاية، يعود دائماً إلى نقطة بدئه، وقد اتسم بالرتابة والتجانس وتشابه الأجزاء، وسرى على نفس النهج الفكر اليوناني بأسره من قيم النظام والتناسب والتحديد، وهي القيم التي عبر عنها فن هذه الحضارة التي اتسمت بالسكون والاستقرار، ودار الجدل بين فلاسفة تلك الحقبة في مقابل الثبات، ونجح أفلاطون في بيان خصائص العالم المتغير الذي يخضع للزمن والعالم الثابت الغير متغير الذي لا يخضع للزمن، فالزمن في نظره هو الصورة المتحركة للأزلية والتي تكشف عن نفسها في

عالم تحكمه دورات من التغير المستمر، ثم عالج ارسطو مشكلة الزمن في مواضيع عديدة من كتبه وأورد لها فصلاً هاماً في كتاب (الطبيعة)، واهتم اهتماماً كبيراً بطبيعة الزمن وخصائصه، على وجه الخصوص بقابليته للقياس أكثر من اهتماماته بوضعه في الكون كحقيقة أو كمظهر (Ati, 1980, p. 67)وخرج بنظرية تكاد تكون متكاملة حلل فيها الزمن من الناحيتين الذاتية والموضوعية تحليلاً دقيقاً ومتعمقاً، فالجانب الذاتي يرتبط بالنفس والشعور، والجانب الموضوعي يرتبط بفكرة الحركة، وبكل ما هو محسوس، وقسم أرسطو الحركة إلى ثلاثة أشكال هي:

أ- حركة نوعية او كيفية: وتأخذ شكل التناوب alternation، ويمكن أن تفهم كدرجات من التحول كالتغيير من البارد إلى الساخن، وهو عملية تسخين أو تحول إلى الساخن، وقد قامت بعض أنواع الفنون المعاصرة على هذا النوع من الحركة كفنون العمليات Process والتحول Transformation، وظهرت في مجال الفن الحركي التحورات المادية حيث الانتقال من حالة الحركة إلى حالة السكون، ومن الحالة الغازية إلى حالة السيولة أو التجمد، وهكذا التحول يحدث في زمن.

ب- حركة كمية: وهي التغيير في الحجم بالزيادة او النقصان.

ج- حركة موضوعية: وهي التغيير في المكان، وهي بالنسبة لأرسطو أساس كل صورة الحركة (Ghoneim, 1977, p. 374) ، وبذلك نجد ارسطو قد ذهب إلى القول بأن الزمن هو قياس الحركة والتحرك، ومن أهم خصائص الحركة:

- أنها متصلة: فوجب أن يكون الزمن متصلاً مثلها.
- أن الحركة يمكن أن تقسم إلى (ما قبل) و (ما بعد) فوجب أن يقسم الزمن إلى قبل وما بعد، فنحن ندرك الزمن كلما أدركنا (ما قبل) و (ما بعد) من أحوال الحركة، وعندها نتحقق من أن الزمن قد مر (Ati, 1980, p. 70) وبذلك فالحركة من العناصر الهامة التي ارتبطت بالزمن، وقيس بها في الفنون البصرية، فكان مبدأ التصوير القديم لدى الفنان الايحاء بالزمن عن طريق الحركة، أما في العصر الحديث فقد أصبح هدف الفن هو تصوير الحركة الكاملة للأشياء بتحقيق عنصر الزمن.

3- الزمن المطلق في الفكر الإسلامي:

قامت العقيدة الإسلامية على مبدأ التوحيد، واعتبار الزمن الدنيوي زمن فاني؛ والزمن في الآخرة زمن أبدي لا متناهي، فأتت الزخارف الاسلامية متصلة لا متناهية، كما أتى تعبيره عن الزمن في الأعمال التصويرية أيضاً موافقاً لهذا الفكر، فقد عبر عن مشاهد الليل والنهار منفصلة، ولكنه قد اعتاد بشكل عام رسم صورة في وضح النهار؛ لذلك كانت ألوانها ساطعة زاهية على الرغم من رسمه بعض الصور التي تمثل أحداثاً تدور ليلاً فيرسم النجوم والقمر ولكن ألوانها ساطعة وزاهية (Farghali, 1991, p. 242) ولم يكتفي الفنان المسلم في هذا الأسلوب بجمع الأحداث والأشخاص في مجال فراغي واحد؛ أو تكرار الأشخاص في عدة مواقف، بل نجده أيضاً جمع الأشكال ذات الطرز والأزمنة المختلفة في مجال الرؤية الفراغية الواحد، وبذلك قد تخطى قيود الزمان (Sobhi, 1995, p. 156) .

ولقد ربط ابن سينا بين الزمن والحركة والمسافة، وأكد أنه لا يمكن أن نتصور الزمن بدون الحركة؛ ولا الحركة بدون المادة، "والزمن ينتج عن تميزنا لأطوار الحركة المتعاقبة، وهو مبني على المادة التي تصير بها الحركة قابلة للقياس، لأن المادة مؤلفة من أجزاء منتقلة من حال إلى حال، ومن موضوع لآخر" (Ati, 1980, p. 70) . وبذلك أكد ابن سينا وغيره من الفلاسفة المسلمين أن الزمن عبارة عن حركة، أو تغير؛ فلولا الحركة لن نشعر بالزمن، ولكن الاختلاف بين الزمن والحركة أو التغير يكمن في كون الزمن شمولي في كل مكان وكل ما هو موجود، أما الحركة أو التغير فيحدثا في الشيء نفسه أو الحيز الذي يوجد فيه الشيء، كما أن الحركة قد تكون أبطأ أو أسرع، أما الزمن فغير ذلك، وأن السرعة والبطء يقاسا بالزمن. وعن توالي وشمولية الزمن عند أبو العلاء المعري؛ فإنه يرى أن للزمن كم ومقدار ولكنه ليس مقدار الحركة، فهو مقدار الحوادث أو كمها، فلا يمكن أن نعرف حقيقة الزمن قبل أن نعرف الحوادث، وبذلك ركز في رؤيته على العلاقة التي تربط بين الزمن والحوادث المنسوبة إليه. وأهم خصائص الزمن عند أبي العلاء المعري هي: التعاقب، التوالي، والجريان المستمر، كتعاقب الليل والنهار والماضي والمستقبل.

أما عن الزمن عند أبو بكر الرازي فيرى أنه ينقسم إلى:

- الزمن المطلق: الذي لا تعده حركة فتكون المدة هي الدهر.
- الزمن النسبي: المرتبط بالحركة.

وتقترب نظرية الرازي من نظرية نيوتن في الفلسفة الحديثة لرؤية الزمن حيث قسم نيوتن الزمن إلى:

- الزمن الحقيقي الرياضي: وهو قائم بذاته، مستقل بطبيعته من غير نسبة على شيء خارجي.
- الزمن النسبي: وهو قياس حسي خارجي لأية مدة بواسطة الحركة، والزمن المستعمل في الحياة العادية على هيئة ساعات وشهور وأعوام (Ati, 1980, p. 188) .

4- مفهوم الزمن قبل القرن العشرين:

أ- تتابعية الزمن عند جون لوك John Lock :

يعتبر جون لوك فكرة الزمن من الأفكار المعقدة التي نحصل عليها عندما نتأمل في ظهور أفكار عديدة الواحدة تلو الأخرى في عقولنا محدثة بذلك فكرة التتابع Succession، أو عندما نتأمل المسافة التي تفصل بين أجزاء هذا التتابع محدثة بذلك فكرة المدة أو الفترة الزمنية أو الأمد Duration، وعلى ذلك فالزمن هو نوع من التغير الكوني للأحداث. ولقد أصبح التتابع أو التسلسل الحدثي يجسد من خلال الأعمال الفنية الزمنية Time-based art التي تتعامل مع الزمن الفعلي مثل أعمال الفيديو Video art وأعمال الفيديو المجهزة في الفراغ Video Instillation.

ب- الزمن والحدس عند كانط:

يرى كانط أن الزمن صور الحدس؛ والحدس هو الخبرة المباشرة ذات المحتوى الحسي والتي يسمها ظواهر، وأن الزمن لا يمكن أن ينتج في رأيه عن تعدد اختلافات الاحساسات وإنما يتضح فقط من الطريقة التي يقوم بها العقل في ربط هذه الاحساسات" (Ghoneim, 1977, p. 376) . ويضيف أن الزمن هو وسيلة لفهم الظواهر فنحن لا نفهم الزمن بشكل مباشر ولكننا نستشعره بمرور الأحداث. وعلى ذلك يرى كانط أن الزمن:

- له خصائص أساسية (الوجود والتتابع معاً)، ولا يمكن ادراكهما ما لم تكن لدينا فكرة مسبقة عن الزمن في عقولنا أي أن الاحساسات لا يمكن ملاحظتها باعتبارها زمنية إذا لم نكن نعرف من قبل ماذا نعني بالوجود والتتابع معاً (Al-Kholy, 1990, p. 24) .
- لا يمكن أن نفكر في الظواهر باعتبارها خارجة عن الزمن، ومع ذلك يمكننا أن نفكر في زمنٍ خالٍ أو فارغٍ، أي أنه يمكن أن نلغي الأشياء من الفكر ولا يمكن أن نلغي الزمن؛ وهذا من شأنه أن يجعل الزمن سابقاً منطقياً على الظواهر.
- هو فقط صورة للحدس، وعليه يمكن أن نفسر استحالة أن نفكر في زمن ذو بعدين أو في زمنين موجودين معاً، فعجز عقولنا يرجع إلى حقيقة أن الخبرة لا تكشف عن هذه الأفكار، لخصوصية الأفكار التي لا تقبل التفكير فيها.

وبذلك فالأعمال الفنية تعبر عن الصورة الحدسية التي تنبع من أعماق اللاشعور، مما يتيح الفرصة أمام المشاهد للجمع بين ذكريات الماضي وإثارة خياله إلى المستقبل؛ وذلك تبعاً للحالة النفسية والذهنية بمعنى أنه يستطيع وفق الحركة أن يضيف البعد الرابع (الزمن) أو يلغيه فيكون العمل الفني استاتيكي شبيه باللوحة التقليدية (Ibrahim & Zaki, 1992, p. 3)

5- فلسفة الزمن في القرن العشرين:

- **ديمومة الزمن عند هنري برجسون:**

يعد برجسون من الفلاسفة المعاصرين الذين جعلوا الزمن محوراً لفلسفتهم، فقد اكتشف في الديمومة المعنى الايجابي للزمن، ورأى فيها مصدر الوجود الحقيقي، والديمومة في المصطلح البرجسوني هي الزمن اللاعقلاني، أي الخاص بالنفس الإنسانية الذي يدرك بواسطة الحدس- الخبرة الداخلية الحية (الخولي، يمنى طريف: مرجع سابق. ص92)، كما تعني الديمومة ايجابية الزمن واقترانه بالخلق والإبداع، وهو بذلك يعيد فكرة الزمن الكيفي الذي لا يدرك بالأفكار العقلية المجردة بل يدرك بالحدس، والتجربة الفنية لديه ما هي إلا حدس مباشر يصل إلى الكيفيات الخاصة بكل موجود وبحركته وتغيره المستمر. وكانت لآراء برجسون أثرها على الفن الحديث الذي اهتم بالتعبير عن قضية الزمن، وأصبح بمثابة الملهم للفنانين بحركة الجسد في الزمان والمكان خاصة في فنون الأداء التي اعتمدت على الزمن كأحد أهم عناصرها، حيث ربط بين الحدس والإدراك الحسي في مفهوم الزمن (Rush, 1999, p. 12)

- **الزمن والوجود عند هيدجر:**

نظر هيدجر M. Heidegger إلى الوجود من خلال الزمن، في كتابه (الوجود والزمان) والذي اكتسب أهمية فلسفية بالغة، حيث ربط الزمن بالوجود، واستحالة التفكير في أحدهما دون الآخر. فالوجود منذ فجر الفكر الفلسفي مرادف للحضور، والحاضر في التصور الشائع يعد من الأبعاد الثلاثية التي تلازم تصورنا للزمن الذي يسير على طريق لا رجوع فيه من ماضٍ إلى حاضر إلى مستقبل، حيث يقول هيدجر: "إذا كان الزمن أحد المقولات الأساسية للوجود فإننا نعني بهذا الزمن الذي يختبره الفرد ذاته لا كما يسجله العالم الطبيعي، وبما أن حياة الإنسان تعاش في ظل الزمن؛ فإن الزمن جزء من خبرتنا الذاتية، وليس فقط جزء من الطبيعة" (Mayrhei, 1973, pp. 34-35))، وبذلك فإدراك الإنسان للزمن مرتبط بعوامل نفسية

وسيكولوجية وبيئية وفسيولوجية؛ تعكس تأثيرها على شعور الإنسان بالزمن، وتنعكس بشكل كبير على متلقي العمل الفني حين تطبع عليه أجواء العمل تأثيرات وانعكاسات سيكولوجية تؤثر على إدراكه للمدة الزمنية التي يلتقي فيها العمل الفني.

المبحث الثالث: أنواع الزمن وطبيعته داخل العمل الفني:

قسم العلماء والفلاسفة الزمن إلى عدة أنواع، وعدة مستويات للإدراك، تختلف باختلاف طبيعة الزمن التي تتخذ من خلال خصائصه واتجاهاته التي يوجهها الفنان خلال اعتماده للعمل الفني ليؤهل المشاهد لمستويات متعددة لإدراك العمل من خلال وحدة الزمن، ولذلك تقوم الباحثة في هذا المحور بدراسة ما يلي:

- **أنواع الزمن.**
- **طبيعة الزمن.**

أولاً: أنواع الزمن:

هناك عدة أنواع للزمن أوضحها عالم الفلك والفيزياء جيمس جينز J. Jeans فيما يلي (Al-Kholy, 1990, p. 21)

1. **الزمن الموضوعي:** وهو مقياس الحركة، ويقاس بالساعات أو الأيام أو السنين، أي يقاس بالمدة التي يقطعها شيء متحرك مثل الأرض حول نفسها أو حول الشمس، أو التي يقطعها الضوء عبر مسافة معينة، أو التي تقطعها عقارب الساعة في تحركاتها (http:www.suhuf.net.sa/1999ja2/may/14/arl.htm)، والعقل الإنساني هو المسئول عن اختراق الزمن الموضوعي الذي يشترك فيه جميع البشر، والذي يتألف من معطيات القياس والحساب والآلات، ولهذا النوع من الزمن أجهزة تقيسه قياساً موضوعياً ثابتاً.

ومن خصائص الزمن الموضوعي أنه من نتاج ظواهر الطبيعة أي أنه ليس نابعاً من خبرات ذاتية للإنسان، ومن ثم فإن قياس الوقت وتحديده يتم وفقاً لدورتين احداهما كونية Cosmic cycle، والأخرى إنسانية Hemicycle (International encyclopedia of social science, Vol.,16, p30)، وغالباً ما يشعر الإنسان بفقد الزمن الموضوعي وضياعه ولا يستطيع استرجاعه. والإنسان يدرك الزمن من خلال عاملين أساسيين هما:

أ- التتابع أو التسلسل الذي يلاحظه خلال التغيرات المحسوسة فيما حوله.

ب- الديمومة (المدة التي يستغرقها الحدث- الأمد الزمني للحدث) أو الاستغراق الذي تقتضيه هذه التغيرات.

وهناك أربعة عوامل لإدراك الزمن الموضوعي هي (http:www.plat.stanford.edu/entries/time-experience):

أ- المدة الزمنية التي يستغرقها الحدث، والتي توصف بالطول أو القصر، وتكون فقط في الماضي، ويطلق عليها الأمد الزمني.

ب- ترتيب الأحداث بالقبل والبعد.

ج- الماضي والحاضر.

د- التغير في الحالة التي تنتج عن مرور الزمن.

وهذه العوامل تدخل ضمن إدراك المتلقي للعمل الفني، فيشعر بمرور الزمن ليس فقط من خلال ما يلحظه من تغيرات تلحق بما حوله، ولكن هناك أيضاً تغيرات على المستوى الجسمي والذهني ينتج عنها نمو في الخبرة والإدراك الذي ينعكس على خبراته البصرية والمعرفية ونمو إدراكه الفني، فيستطيع لإدراك أنواع أكثر تعقيداً من الزمن داخل الأعمال الفنية من خلال الحركة الفعلية والامتداد الزمني للصوت والصورة في البيئة الحية التي أصبح يشغلها العمل الفني ويدخل فيها المتلقي أيضاً كجزء فعال فيها.

2. الزمن النفسي (الادراكي- الحسي):

يستخدم مصطلح الزمن النفسي تعبيراً عن سرعة مرور الزمن الذي يدركه الإنسان والتي تتغير بحسب عمر الشخص وخبرته ومشاعره وحالته الجسمانية وميوله والمواقف التي يتعرض لها، فالزمن النفسي الذي يشعر به كل انسان يختلف تقديره من شخص لآخر، فهو زمن نسبي مختزن في الذاكرة، يستطيع الإنسان أن يسترجعه ويستعيده بكل تفاصيله. ويشير كريم زكي حسام الدين في كتابه (الزمان الدلالي) أن هناك ثلاثة مظاهر لإدراكنا للزمن النفسي وهي:

- المظهر الأول: الإحساس بزمن اليوم من خلال ما يقوم به الإنسان من جدول يومي وممارسته لعمل معين خلال ساعات محددة.
- المظهر الثاني: الإحساس بديمومة الزمن، ويتوقف ذلك على حالة الإنسان النفسية.
- المظهر الثالث: الإحساس بامتداد الزمن، فالماضي يصير إلى المستقبل الذي يتحول بدوره إلى مستقبل، وهذا الإحساس بامتداد الزمن يتوقف على عمر الإنسان وما يمر به من ظروف (El-Din & Zaki, 1999, p. 25)

والزمن النفسي ليس له مقياس ثابت، كما يخضع لعوامل فردية متغيرة، فهو يمثل إحساسنا الداخلي بالزمن، ولا يسير بسرعة منتظمة فيختلف إدراكنا له بحسب اللحظة التي نعيشها، فقد يطول هذا الزمن نسبياً كما في لحظات الخوف؛ الانتظار؛ الترقب؛ الألم، وقد ينكمش ويمر مروراً سريعاً خاطفاً كما في أوقات الفرح؛ السعادة؛ المتعة.

ويقع المتلقي للعمل الفني تحت تأثير الزمن النفسي، فالعمل الفني يستغرق فترة من التأهيل تتابع فيها استجابات الفرد وردود فعله، ويتخذ فيها احساسه بالفترة الزمنية التي قد تطول أو تقصر نتيجة الحالة النفسية التي يضع فيها الفنان المشاهد، والتي تكون على درجة كبيرة من الأهمية في عملية التذوق والإدراك، وقد يختلف إحساس المتلقي بالفترة الزمنية من فرد لآخر فيحدث إدراك نسبي للزمن النفسي، كما يختلف قياس وحدة الزمن وفقاً لطبيعة المكان وتجهيزه والتهيئة النفسية التي يحدثها الفنان للمتلقي، ففي بعض الأعمال الفنية التي تعتمد على تجهيز الفراغ Installation تسمح للمشاهد بالتجول عبر فراغاتها وقنواتها، وتضعه في بيئة نفسية معينة، وربما يعرضه لأكثر من حالة نفسية في العمل الواحد، ومن هنا يتضح أن هناك علاقة قوية ترابطية بين الزمن الموضوعي وتأثيره النفسي على المتلقي من خلال وحدة الزمن التي يقوم الفنان بحسابها جيداً لإحداث الأثر المطلوب لدى المتلقي.

- **الزمن الفيزيائي:** هو عبارة عن الزمن الذي يتم قياسه بالساعات، والذي يتقدم إلى الأمام بشكل منتظم، ويتمثل في التعبير عن أوقات الزمن اليومي المختلفة، والزمن الفيزيائي أشد صورة يمتلكها العقل الإنساني دقةً واحكاماً، وقد تطور مع علم الفيزياء وانقلب انقلاباً جوهرياً بظهور النظرية النسبية التي أحدثت ثورة في جميع الأوساط العلمية والفنية في القرن العشرين، وأدت إلى ظهور العديد من الاتجاهات الفنية التي قامت على أسس علمية استفادت من علم الفيزياء كالاستفادة من نظرية الضوء التي أدت إلى ظهور نظريات اللون، والاستفادة من النظرية النسبية التي أدت إلى ظهور الصورة المتحركة التي مهدت لظهور فن السينما، وبتطور علم الفيزياء والرياضيات ظهر الفن الرقمي في أواخر القرن العشرين، وقد مر الزمن الفيزيائي بمرحلتين هما (Al-Kholy, 1990, p. 117) **الزمن المطلق:** عند نيوتن Newton، والتصور المطلق للزمن، حيث يرد المادة إلى الزمن، أي يدرك المادة أو يتصورها خلال مفهوم الزمن، والزمن المطلق بحكم طبيعته يتدفق باطراد بدون أن يكون له علاقة بأي شيء خارجه، وأن الزمن شيء لا نهائي يمضي وينقص بنفس المعدل بالنسبة لأي راصد في أي موقع في الكون (Parker, 1999, p. 10) ، ويستند مفهوم نيوتن للزمن بشدة على فكرة التزامن أي وقوع الأحداث المتزامنة (التي تقع في توقيت واحد) في مواقع متفرقة من المكان (Demphis, 1996, p. 10) ، وهذا المفهوم كان له دور في تغيير مفهوم الفن وتوجهاته، وكان بمثابة بداية تفاعل الفنان مع مفردات جديدة؛ ومداخل جديدة في الفن، وظهرت فكرة التزامن بوضوح في أعمال المدرسة التكعيبية فكان المشاهد يستطيع رؤية جميع زوايا اللوحة في آن واحد بالرغم من أنها مسطحة من خلال تعدد زوايا المنظور، كما استفادت أيضاً المدرسة المستقبلية من خاصية التزامن وخصوصاً في مجال السينما.
- **الزمن النسبي:** جاء أينشتاين Einstein بالنظرية النسبية التي قلبت الأمور رأساً على عقب، وغيرت الفكر الفيزيائي تغييراً جذرياً وفتحت صفحة جديدة في تاريخ العلم في مطلع القرن العشرين وقامت على عدة أسس هي:

أ- جعلت النظرية النسبية الزمن بعداً غير منفصل عن أبعاد المكان الثلاثة الطول والعرض والارتفاع، ويؤلف منها متصلاً رباعي الأبعاد، يعرف بالمتصل الزمكاني Space -Time (El-Din & Zaki, 1999, p. 38)

ب- جعلت النسبية من الزمن نسبياً بعدما كان مطلقاً والزمن في النسبية يطول أو يقصر حسب أمرين:

الأول: هو السرعة، فيتباطأ الزمن كلما زادت السرعة.

الثاني: هو الكتلة (Al-Kholy, 1990, p. 13) .

ج- لم تعد المسافة هي البعد بين نقطتين مكانيتين بحتتين، بل هي البعد بين نقطتين متحركتين أو حادثين يفصل بينهما فترة زمنية (Al-Kholy, 1990, p. 136) .

د- نفت النسبية خاصية عدم قابلية الزمن والأحداث للارتداد، فالأحداث توجد بحيث يمكن افتراض تتابعها الزمني في الاتجاه المعاكس، حين أصبح الذهن البشري يستطيع إدراك نظم مختلفة للترتيب الزمني.

وقد كان لقوانين الحركة بالغ الأهمية في ظهور النسبية في الفن، وكان أبرز عامل فيها هو استبدال البعد الثالث (وهو العمق في اللوحة) بالبعد الرابع، والبعد الرابع للصورة هو البعد الزمني، فديناميكية الحياة والأشياء تقتضي بأن يأخذ المصور في اعتباره هذا البعد الزمني للأشياء الواقعية، وأن تعكس أعماله هذه الديناميكية التي ترتب عليها ظهور إبداعات متعددة استطاع الفنان من خلالها إضافة الحركة الفعلية في الفن التشكيلي، فظهر الفن الحركي الذي اعتمد على الحركة الفعلية للعمل وظهر بعد ذلك فنون أخرى اعتمدت على الحركة الفعلية كفنون الحدث Happening وفن الأداء performance.

1. **الزمن البيولوجي:** هو الزمن الباطن أو الساعة البيولوجية Biological Clock، كما يطلق عليها العلماء، وهي ليست مقصورة فقط على الإنسان، ولكن نراها تحدد للكائنات غير المدركة فترات زمنية محددة (Saleh, 1977, p. 313) ، فعن طريقها يستطيع الكائن الحي أن يعرف أول النهار من آخره ومساءه من صباحه، وقدر ما هو عليه من وقت من خلال العمليات البيولوجية مثل الجوع والعطش والنعاس، فكل مخلوق يحمل معه زمنه الذي يضبط به نشاطه ويحدد ميقاته.

وهناك عدة عوامل في العمل الفني تؤثر في الزمن الكامن داخل الإنسان كالصوت والضوء والحركة والحيز، فهذه العوامل قد تشعر الإنسان بمرور الزمن، فقد يلعب الحيز الفراغي الذي يدخل فيه المتلقي دوراً في شعوره بالزمن مع وجود تواترات في العمل الفني، تولد بداخله أحاسيس بالصمت والتوتر والملل، وتؤثر على ساعته البيولوجية مما يجعلها تعطي قياسات غير حقيقية، ويلعب الفنان على القياسات المختلفة لهذه الساعة البيولوجية لتأكيد بعض المعاني والحالات الشعورية التي يريد توصيلها للمتلقي، والتي تتوقف على زمن تلقي المشاهد للعمل الفني. فالساعة البيولوجية هي ساعة قياسية تختلف من إنسان لآخر نتيجة لخبراته وذكرياته وتداعياته ونظام حياته والمؤثرات المحيطة به، وعوامل المكان والتهيئة النفسية التي تجعل شعور المتلقي بالزمن يطول أو يقصر.

ثانياً: طبيعة الزمن:

يستخدم الإنسان في تعبيره عن الزمن مفردات قد تكون واضحة في شكل أوصاف مباشرة تكشف عن مظاهر الزمن كما يعرفه الفرد، وقد يستخدم تشبيهات غامضة أحياناً، فالناس يستخدمون لغات وأفكار مختلفة في حديثهم عن الزمن، فالفنان قد يعبر عن الزمن بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، فعلى الرغم من أن الزمن غير مرئي إلا أنه من الممكن التعبير عنه بدلالات وصور مرئية في الفن، بحيث يصبح أحد العناصر الهامة في العمل الفني، وقد قنع الفنان طوال العصور الماضية بفكرة الايحاء بالزمن أو لحظية الحدث، حتى أصبح الآن يعبر عن الزمن الفعلي بطريقة مباشرة وحقيقية في العمل الفني. وتتميز طبيعة الزمن من خلال عاملين:

الأول: خصائص الزمن:

الثاني: اتجاه الزمن:

1- **أما عن خصائص الزمن: فإن للزمن مجموعة من الخصائص تتحدد فيما يلي:**

- الزمن أمر نسبي يعرف عن طريق الأحداث المتغيرة أو الأشياء الثابتة التي تتصل بها في حياتنا، لكن في بعض الأحيان نشعر أن الزمن المقاس في ضوء الأحداث يبدو مستقلاً عن الأحداث التي تجري في الزمن، فقد يبدو بطيءً أحياناً أو سريعاً أحياناً أخر.
- الزمن يكشف عن صفتين من صفات الترتيب، وهذه الصفات هي:
  - الصفة الأولى: هي علاقة (قبل وبعد) والتي تجمع بين لحظتين، وتكون مستقلة عن الزمن عندما تقوم بعملية اختيار، فبرغم أن الأحداث يمكن أن تحدث معاً وفي نفس الوقت، إلا أن اللحظات الزمنية لا يمكن أن تحدث معاً، فإذا أخذنا النقطتين (أ)، (ب) فإن (أ) قد يسبق (ب) أو العكس، لكن ما أن يحدث الاختيار بين هذين البديلين فإن مرور الزمن لا يمكن أن يغير منه.
  - الصفة الثانية: هي العلاقة بين (الماضي، الحاضر، المستقبل) وهي علاقة بين حدود ثلاثة، فالحاضر يجب أن يكون دائماً بين الماضي والمستقبل، فإذا كانت (أ) قبل (ب) فإنها ستظل كذلك للأبد، ولن تتغير هذه الحقيقة مع مرور الزمن.
- يرتبط الزمن ارتباطاً وثيقاً بأفكار التغير والثبات، وإذا كان هناك تغير فلابد أن يكون هناك شيء يتغير، فإذا كان العالم يتغير؛ فإنه يجب أن يظل مع ذلك عالماً في الوقت الذي يخضع فيه للتغيير، إذا كان تغير يكون نسبياً إلى أرضية ثابتة، وبدون هذه الأرضية الثابتة لن يكون هناك معنى للتغيير (Ghoneim, 1977, p. 38) .

ونستخلص مما سبق أن الزمن يفهم من خلال خصائصه في ثلاث:

أ- أنه نسبي في صفته، ولكنه مستقل إلى حد ما عن الأحداث في الزمن.

ب- أنه يتضمن رابطاً لمجموعتين من اللحظات (قبل – بعد)، و(الماضي، الحاضر، المستقبل).

ج- أنه يتضمن نوعاً من التوفيق بين التغير والثبات.

2- **أما عن اتجاه الزمن:**

تشير ظواهر الزمن في الكون إلى أن سهم الزمن يسير في خط مستقيم أو في اتجاه واحد نحو المستقبل متمثلاً في مظاهر مختلفة أهمها التطور البيولوجي الذي يبدو بلا رجعة، لأن الزمن لا يرجع للوراء (El-Din & Zaki, 1999, p. 23) ، فالزمن يمضي دوماً إلى الأمام، فحياة الإنسان مثلاً تمر بمراحل متعددة، تبدأ بمرحلة الطفولة فالصبا ثم الشباب ثم الشيخوخة.

ويقصد باتجاه الزمن ثلاثة أبعاد هي:

- البعد الأول: هو اتجاه الزمن من الحاضر للماضي حيث يكون فيه أي حدث حاضراً قبل أي حدث ماضٍ بشكل مؤقت، وذلك البعد بعداً فلسفياً.
- البعد الثاني: هو ترتيب الأحداث التي تحدث في الكون مرتبة ترتيباً زمنياً من حيث القبل والبعد، وذلك يعد البعد العلمي لاتجاه الزمن (www.utm.edu/research/iep/t/philosopht#philosphy).

- البعد الثالث: هو المؤشر النفسي لاتجاه حركة الزمن الموجود في عقولنا، فالإنسان يملك حالة نفسية معينة لاتجاه حركة الزمن، حيث يتذكر الماضي ويعيش الزمن الحاضر، بينما يجهل المستقبل ولا يعلم عنه شيئًا، مما يعني أن الزمن يشير للأمام (Parker, 1999, p. 168)

.

وقد استخدم الفنانون البعد الفلسفي والبعد العلمي للتأثير على البعد النفسي عند المتلقي في عملية تلقيه للعمل الفني خلال وحدة الزمن، من خلال دمج المضي والحاضر والمستقبل معاً في لحظة واحدة في بعض أنواع الأعمال الفنية المجهزة في الفراغ أو أعمال الفيديو المجهزة عن طريق وضع بعض العناصر التي تمثل جزءً من الماضي في الوقت الحاضر فتجعل المشاهد يستدعي ذكريات الماضي مع لحظات الحاضر، أو أن يهيأ له فراغ العمل أو مادته المعروضة بصورة تأخذه إلى زمن المستقبل، فتحدث عملية الدمج بين الأزمنة، وبالتالي التأثير على اتجاه زمن التلقي من خلال التهيئة النفسية للمتلقي.

المبحث الرابع: دراسة تحليلية لمختارات من الفن التشكيلي المعاصر القائم على فلسفة الزمن:

لا ينفصل الزمن عن الفنون البصرية على مر التاريخ، بل هي تعبير مباشر يجمع بين التصريح والإيحاء لمفهوم الزمن، وفيما يلي دراسة وتحليل لمختارات من الأعمال الفنية القائمة على التعبير عن الزمن، وقد تم اختيار تلك الأعمال وفقاً للتصنيف التالي:

- أعمال فنية قائمة على اللحظة الزمنية في الصور الثابتة والمتحركة.
- أعمال فنية تعبر عن الزمن من خلال الضوء.
- أعمال فنية تعبر عن المفهوم التتابعي للزمن.
- أعمال فنية تعبر عن الزمن الضمني من خلال الايحاء بالحركة.

أولاً: دراسة تحليلية لمختارات من الأعمال الفنية المعبرة عن اللحظة الزمنية في الصورة الثابتة والمتحركة:

1- التعبير عن اللحظة الزمنية من خلال الضوء:

تعد المدرسة التأثيرية Impressionism من أهم الاتجاهات الرائدة في تسجيل اللحظة الزمنية في العمل الفني من خلال الضوء، حيث خرج فنانو هذا الاتجاه للطبيعة محاولين رصد اللحظة الضوئية وانعكاسها على الألوان والظلال للحصول على لحظة من الزمن في أعمالهم الفنية، فاعتمدوا على الانطباع المباشر للطبيعة، وعبروا عن تلك اللحظة في نفس الوقت عدة أيام متتالية للحصول على نفس التكوين بنفس الرؤية النهارية المحدودة الضوء، لكون الضوء متغير من آن لآخر حسب طبيعة البيئة التي يعيشونها، ويعد كلود مونيه Claude Monet من أشهر الفنانين الذين عبروا عن اللحظة الزمنية من خلال الضوء، فصور المشهد الواحد عدة مرات في أوقات مختلفة طيلة اليوم لدراسة تأثير الضوء وتغيراته على الشكل، ومدى ارتباطه بتغير الزمن، ولسرعة التعبير المرتبط باللحظة قبل تغير اتجاه الشمس نتجت ضربات فرشاة سريعة متلاحقة للتعبير المباشر عن اللحظة السريعة، ويتضح ذلك في عمله الفني (شجر الحور)، حيث رسم نفس المشهد في أوقات مختلفة من النهار موضحاً تغير الضوء من مشهد لآخر.

أشكال (11- 14): كلود مونيه: شجر الحور على ضفاف الأبت في وقت النهار والغروب، زيت على توال، 40×26سم، 1891.

2- تسجيل اللحظة الزمنية في الصور الثابتة والمتحركة:

مع تحمس الكثير من الفنانين لفكرة الحركة والتغير أصبحت الصورة الفوتوغرافية بمثابة تسجيل للحظة زمنية لأشياء متحركة أو أحداث أو أزمنة منقضية تسجلها وتحتفظ بها الصورة الفوتوغرافية كصورة من صور التوثيق للأحداث الزائلة.

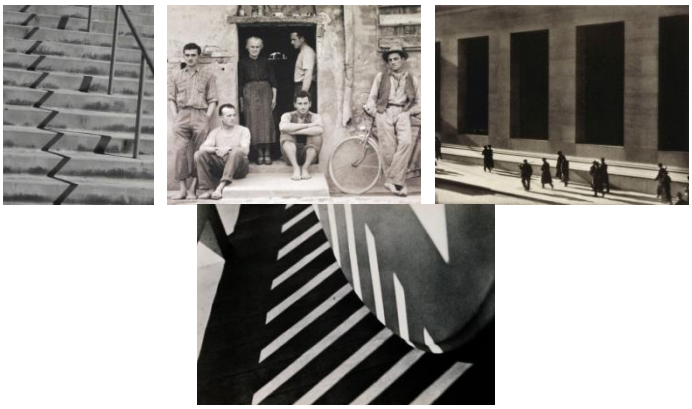

أشكال (15- 18) بول ستراند: شارع الجدار، تصوير فوتوغرافي، نيويورك، 1915. تاريخ الناس، الدرج، حفر ضوئي 1917.

3- تجميد الزمن في الصورة الفوتوغرافية الثابتة:

يعد عام 1970 لحظة خروج الصورة الفوتوغرافية الثابتة من مكانها المتمركز في الثقافة العامة، عندما حل التليفزيون محل الصحافة كوسيلة أولية للمعلومات، حينها انتقلت الصورة الفوتوغرافية من مجال الإعلام إلى مجال الفنون البصرية، وصاحب ذلك ازدهار في معارض فن التصوير الفوتوغرافي والاتجاه إلى دراسة تاريخه الفني (Smith & ring, 1996, p. 327) وفي البداية كان من الممكن تسجيل العناصر الثابتة وذلك لأن المواد الحساسة للضوء المستخدمة كانت تتطلب التعريض للضوء لفترات طويلة، ومن ثم أدى التطور في تقنيات التصوير إلى امكانية تصوير الأشخاص في فترة زمنية أقصر من خلال الوقوف أو الجلوس أمام الكاميرا في وضع ثابت لفترة قصيرة، وفي عام 1853 أصبح من الممكن التقاط صور للأشخاص في حالة الحركة (Duan & Preble, 1985, p. 96) ، وتسجيل حركاتهم؛ وأيضاً تسجيل الزمن المحيط بهم وما يدل عليه من رموز وظلال، وكذلك تصوير العناصر والأشياء المتحركة. ومن خلال

تجميد الحركة السريعة يتضح لنا المظهر الخارجي للأشياء بطريقة يصعب أن ندركها بالعين المجردة، وتحفظ لنا الصورة فقط الأثر المتبقي الذي قد يبدو على سبيل المثال في تعبير عارض على وجه أحد الأشخاص كما في الصورة التي التقطها المصور فيليب هالسمان Philip Halsman للفنان سيلفادور دالي وهو يقفز في الهواء. وعن طريق الصورة الفوتوغرافية نستطيع أن نأخذ جزءً من الزمن كالدقيقة أو الثانية والاحتفاظ بها للأبد في شكل صورة، ووجد بعض المصورين في الزمن كموضوع مادة للتعبير فاتجهوا لتصوير عناصر الزمن التي تشير إلى لحظة بعينها من زمن اليوم، كما قاموا بالتعبير عن موضوعات مرتبطة بالزمن كالنمو والتغير من خلال الزمن، كما استخدمت الصورة الفوتوغرافية الثابتة كأحد وسائط التعبير ذات التأثير الدلالي في أعمال التجهيز في الفراغ Installation كعنصر له قيمة فنية يقوم باستحضار الحدث داخل مكان العرض، من خلال استرجاع حادثة أو موقف حياتي معين.

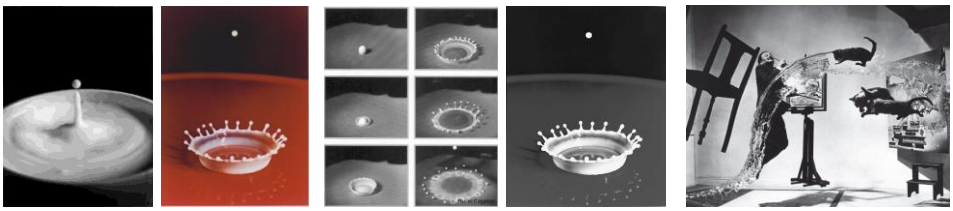

شكل (19) فيليب هالسمان: متحركات دالي، طباعة، 9×12بوصة، 1948. شكلي (20- 23) هارولد ادجرتون: تصوير فوتوغرافي متعدد اللقطات، قطرة لبن تتناثر، 1938.

4- الايحاء بمرور الزمن في الصور المتحركة:

في الولايات المتحدة عكف الفنان إدوارد مايبريدج Edward Muybridge على تجربة التقاط الصور بلقطات ساكنة- متحركة، للنماذج الحيوانية والإنسانية في حركة متتابعة، فقام بتصوير الخيول وهي تعدو، وكانت هذه الصور هي أول مجموعة تظهر كصور متحركة متتابعة، وبعد ذلك قدم مجموعة صور لدراسات في حركة الحيوانات، واستطاع أيضاً أن يحقق بنجاح تعريف الزمن الفوتوغرافي بالتقاط الصور في 1/ 2000 من الثانية واستطاع على صعيد آخر باستخدامه صوره.

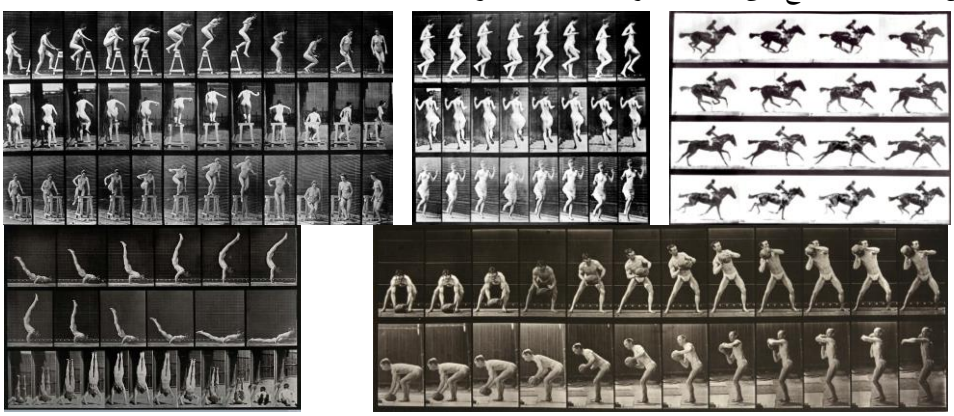

أشكال (24. 28) من أعمال الفنان إدوارد مايبريدج Edward Muybridge: دراسات لحركة الإنسان والحيوانات، 1878.

ثانياً: دراسة تحليلية لمختارات من الأعمال الفنية المعبرة عن الزمن من خلال الضوء:

تعددت أساليب التعبير عن الزمن من خلال تأثير الضوء كمتغير إبداعي اختلف من فنان لآخر، فقد عبر يوجور أوكو Ugur Okcu من خلال صراع شمعة عن مؤثرات ضوئية متناغمة توحي بالحركة من خلال الوميض المتناوب والمختلف من حيث طبيعة الأثر الفني، لأن جميع هذه الصيغ تمثل التغيرات المتناغمة للانطباعات الحركية الواقعية في الزمن.

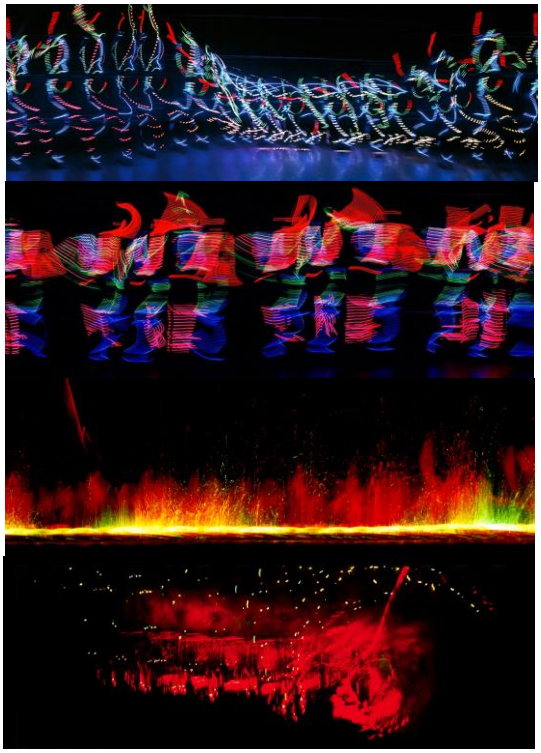

أشكال (29- 32) يوجور أوكو Ugur Okcu: مجموعة حلول مختلفة للتعبير عن الزمن من خلال المؤثرات الضوئية.

ثالثاً: دراسة تحليلية لمختارات من الأعمال الفنية المعبرة عن المفهوم التتابعي للزمن:

يقوم الفنان بتوظيف الأبعاد السيكلوجية لعملية التتابع في العمل الفني لإيجاد معادلة زمنية نتيجة لتحول العناصر والأشكال من حالة إلى حالة أخرى، ومن هيئة إلى هيئة أخرى، ومن حجم إلى حجم آخر، مما يستدعي ردود فعل لدى المشاهد تعتمد على مدة الزمن اللازم لعملية التغيير، أو التدرج الذي يحدث من خلال التتابع، فالتغير الذي ينتج عن التتابع يستدعي في ذاكرتنا فكرة الزمن، ويكون لدينا اتجاهات وردود فعل مرتبطة بمدة الزمن، وطبيعة هذا التغير، وهناك محورين للتعبير عن الزمن من خلال مفهوم التتابع:

أ- الاشارة إلى الزمن من خلال التتابع في العمل الفني:

التتابع أو التسلسل هو: مجموعة من الأشياء أو الأحداث التي يتم ترتيبها أو حدوثها في تتابع فراغي أو زمني (Walker, 1992, p. 487) ، وبذلك فالفن التتابعي هو: نوع من الفن يتم إدراكه عن طرق مشاهدة العمل

ككل، حيث أن كل قطعة منه بمثابة جزء من وحدة كلية، ويتم عرضه في صورة متتابعة بترتيب منطقي يحقق إحساساً إيهامياً بالزمن بحيث يتم تقسيم الزمن فراغياً ليدل على تتابع الحدث. ويؤكد (أول فراهام Oal fraham) على الطاقة التفكيكية الموجودة في هذا النوع من الفن، فيقول أن لهذا الفن قدرة على تأكيد الوحدة من خلال التفكيك، حيث أن الحدث يتطور من خلال أشكال أو عناصر متتابعة بينهما فواصل، ويقوم المشاهد بملء هذه الفواصل البصرية عقلياً فتحدث الحالة التتابعية التي يقصد الفنان بوجوده من خلال العناصر المتتابعة، وقد تنقلنا النقلات الزمنية في الأشكال من لحظة لأخرى، أو من زمن لآخر تماماً، وقد يعب الجزء الواحد عن اللحظة الراهنة فقط وأي جزء قبله يعبر عن الماضي وما يأتي بعده يعبر عن المستقبل، فيصبح أي مكان تركز عليه عين المشاهد يمثل الحاضر، ولكن في نفس الوقت، تدرك العين الماضي والمستقبل لأنه داخل نطاق رؤيتها (Ragheb, 2003, p. 172)

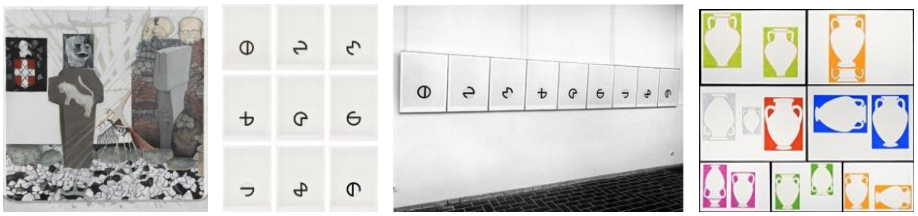

أشكال (33- 36) جو باير كاردينيشنز Joe Baer, Cardinations: مجموعة من الأعمال الفنية التجميعية المطبوعة بتقنية سيلك سكرين، ورسوم تتابعية، مركز ديا للفنون، نيويورك، 2002.

ب- مفهوم التتابع في التعبير عن البعد الزمني في العمل الفني:

أثار التعبير عن مفهوم الزمن الكثير من فناني المفهوم الذين عبروا عنه أحيان كثيرة من خلال اللغة والأرقام باعتبارها علامات تشير لمفهوم الزمن، فقد تعاملوا مع الأنظمة الرقمية بأساليب اختزالية وتكرارية، ويعتبر الفنان رمان أوبالكا Roman Opalka من أكثر فناني المفهوم اختزالاً في التعبير عن مفهوم مرور الزمن من خلال رسم متتابع من الأرقام، فمنذ بداية عام 1965 بدأ في تنفيذ سلسلة من الرقم (1) إلى مالا نهاية، حيث كان يملأ لوحاته بأرقام لا نهائية، وإلى جانب ذلك كان يقوم بقراءة الأرقام من سجل وفقاً للكيفية التي يتم كتابتها بها ليسجل الزمن الحقيقي الخاص به، فنجح بهذا الأسلوب الاختزالي في التعبير عن مفهوم مرور الزمن برؤية فلسفية، كذلك الفنان أون كاوارا On Kawara حيث استخدم "اللغة والأنظمة الرقمية في التعبير عن مفهوم الزمن، فاهتم بفكرة تسجيل مرور الزمن من خلال رسم تسلسل التواريخ باللون الأبيض على خلفية داكنة، ولم يكن مهتماً بتوضيح معنى كل يوم، ولكنه اكتفى باختزال أحداث اليوم إلى مجرد علامات تشير إلى تاريخ اليوم.

أشكال (37، 38، 39) أون كاوارا: سلسلة تاريخ اليوم، أكريلك على كانفس.

شكل (40) الفنان رمان أوبالكا Roman Opalka: التعبير عن مرور الزمن. شكلي (41، 42) الفنان رمان أوبالكا Roman Opalka: مفهوم التتابع من خلال تتابع الأرقام من 1 إلى مالانهاية.

رابعاً: دراسة تحليلية لمختارات من الأعمال الفنية المعبرة عن الزمن الضمني من خلال الايحاء بالحركة:

يعد الزمن من أهم عوامل إدراك الفنون ثلاثية الأبعاد كالنحت والعمارة، حيث تتغير زاوية الرؤية كلما تحركنا حول العمل، وتبعاً لاختلاف زوايا الرؤية يتغير الاحساس والانفعال بالعمل، وبالتالي يتغير الزمن تبعاً لتغير انعكاسات الضوء ومسارات سقوط الظلال.

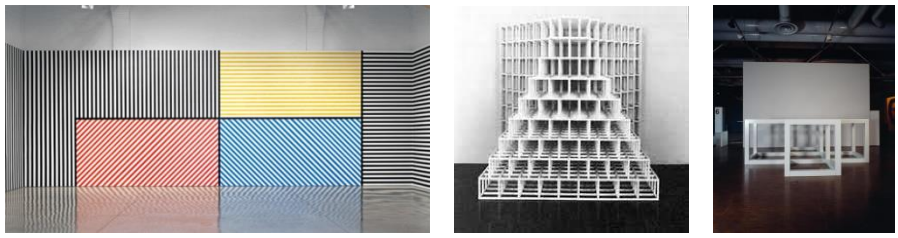

شكل (43، 44، 45) سول لويت، 5 أجزاء (مكعبات مفتوحة) على شكل صليب، مركز بومبيدو/ توظيف قسري.

شكلي (46، 47) جياكومو بالا: كلب وشخص في حركة، زيت على قماش، 95.57 × 115.5 سم، 1912/ سرعة وبطء السيارات، زيت على توال، 1913. شكلي (48، 49) مارسيل دوشامب: إمرأة تنزل الدرج، زيت على توال، 58×35 بوصة، متحف فلاديلفيا للفنون، 1912. / عجلة الدراجات، 1913.

خامساً: دراسة تحليلية لمختارات من الأعمال الفنية المعبرة عن الدلالات الزمنية والتي تصنف وفق الزمن الايهامي:

تعددت في القرن العشرين التجارب الإبداعية التي عبرت عن الزمن داخل العمل الفني، إما برموز واضحة مقروءة كساعة الزمن مثلاً؛ أو تأثير الشمس ومرور الزمن والأثر الناتج عن شدة الشمس في زمن محدد، وهذه الرموز الواضحة أو ذات الايحاء بالزمن استفاد الفنانين من فلسفة التعبير هذه في انتاج أعمال فنية حافلة بالقيم الفنية والجمالية وذات تأثير فلسفي واضح.

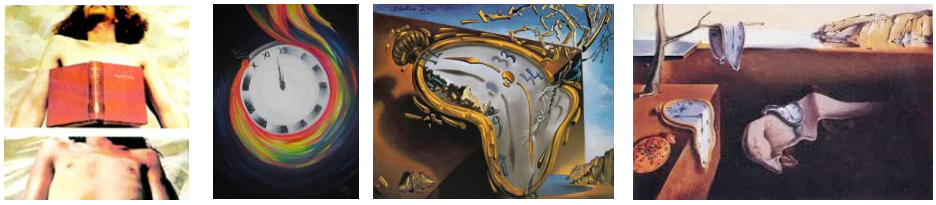

شكلي (50، 51) سلفادور دالي: ألم الذكرى. شكل (52) عمل يعبر عن الزمن. شكل (53) ديفيد أوبنهايم، وضع القراءة، 1970

المبحث الخامس: الاطار العملي للبحث:

يُشكل الزمن كافة تفاصيل الحياة؛ وبالتالي يُشكل الإبداع كونه نتاج فكر إنساني خاضع لتلك الفلسفات، إن فلسفة الزمن هي فلسفة الحياة والقدر، هي فلسفة الوجود والخلود، فالزمن هو نسيج الحياة ومنه تشكل الليل والنهار والوقت.. وكانت نبضات القلب وهول يوم الحساب. فالزمن يزداد طولاً أو يقصر حسب الحالة النفسية للإنسان في موقف معين.. ويأتي عصر التكنولوجيا ليستفيد من تلك الفلسفات ويضع الإنسان في حالة من التأمل الدقيق للتفرد الإبداعي وتحقيق الفكرة التشكيلية من منظور الفنان الخاص.

بيانات العمل:

اسم العمل: السلحفاة الأخيرة:

مقاس العمل: يتكون العمل من 23 قطعة من نموذج السلحفاة بمقاسات قطرية 50سم – 35سم -20سم , سلحفاة حقيقية – كبسولة معدنية بطول 180سم-عرض 50 سم – كمية كبيرة من الرمل الأبيض.

فكره العمل: السلحفاة الأخيرة:

عالم القرية اليوم يمر بحالة الغليان الذي يرافق التطور تحت ضغط المدنية المتزايد، مما يسبب عادةً أصعب المشاكل التي يواجه عصرنا، تكمن دائماً في كل الحوارات إعادة للسؤال المركزي الجذري لعودة الحياة الإنسانية إلى مكان الصدارة بعد طول وغياب، فالأشياء الشبيهة تنتج عن نظائرها، من البذرة أو من البرعم، حيث أن الطبيعة هي قوة كامنة في كل الأشياء، حيث تولد الأشياء الشبيهة من المنظومات الشبيهة في تكرار لا نهائي.

إن النظر إلى عصرنا من مسافة معينة يشبه النظر إلى من خلال الناحية الخطأ للتليسكوب؛ وعلى نحو ما؛ يكتسب عصر المرء ذاته الخاصية البعيدة لفترة تاريخيه، وتتغير جوانب التركيز؛ وتبدو القيم التي اعتبرها المرء من المسلمات؛ فجأة! موضعاً للتساؤل، ويكتسب العصر برمته خصائص لم تخطر أبداً على بال المرء مما يجعل من حضارتنا تجربة تاريخية إلى حد كبير، ونتائجها غير مؤكدة بشكل حاسم. إن التفكير العلمي يمتلك ميلاً متأصلاً للتقدم من الاستبصار الذي يليه، مما يمنحه مظهر تقدم ديناميكي متصل، والنتيجة أننا نشهد باستمرار انجازات مدوية للتقدم العلمي، فماذا يمكن أن يبدو أكثر طبيعياً من الاعتقاد بأن حضارتنا تمثل الانتصار النهائي للعقل الإنساني في التاريخ، ثمة بضعة أشياء خاطئة في هذا المفهوم. حيثما يبدأ السلوك الإنساني تتوقف التكنولوجيا، ولابد لنا أن نواصل حياتنا كما كنا نفعل في الماضي، وبما تعلمناه من الخبرة الشخصية أو من مجموعات الخبرات الشخصية التي تسمى التاريخ، وبما تمخضت عنه الخبرة مما نجده في الحكمة والقواعد العملية المتبعة، إذ أن هذه كلها ظلت دائماً متيسرة عبر القرون، وكل ما علينا فعله الاستدلال عليها وتوضيحها بعد أن ننظر في حالة العالم اليوم.

وصف العمل:

عمل تركيبي في الفراغ يضم كبسوله فضائيه و23 سلحفاه حديديه، حجرة سوداء بأبعاد 4×4 متر والارتفاع 5 متر، تتوسطها كومة من الرمل الأبيض منتشرة عليه مجموعة من السلاحف الحديدية وسلحفاة حقيقية وتسقط عليه من الأعلى كبسولة حديدية بداخلها سلحفاة حديدية.

تحليل العمل:

إن إعادة اكتشاف الطبيعة الإنسانية والتي تكمن دائماً في كل الحوارات وفيها إعادة للسؤال المركزي الجذري لعودة الحياة الإنسانية إلى مكان الصدارة بعد طول وغياب، أن يستعاد الإحساس بكلية التجربة الإنسانية وبمباشرتها، وعلينا من أجل ذلك أن نحدد أين وصلنا الآن (المسافه = السرعه × الزمن). يتناول العمل فلسفة التطور التي تتحقق عبر الزمان منذ خلق الانسان الأول إلى عصر الفضاء، وقد تم اختيار نموذج السلحفاة الكائن الاكثر بطئاً من جميع الكائنات المتحركة؛ وتم تطبيق معادلة الزمن والتي

تساوي المسافة على السرعة ليتم التساؤل عن المسافة التي تم قطعها عبر التاريخ الانساني في الوصول إلى نموذج التقدم أللانهائي للعوالم المفتوحة (الفضاء) وهل حقق الانسان عبر رحلته الزمنية مطلبه الحقيقي للحفاظ على نفسه لتوفير حياة أكثر سعادة وطمأنينة أم أنه وصل لمرحله من افساد كامل لحياته وفقدان توازنه، والتضحية بنفسه وفنائها. ان العمل ينادي بإنقاذ الكائن البشري عن طريق تمييزه لمفهوم الرقي والتقدم وتكون السلحفاة الأخيرة والتي تمثل الحل هي أحد النموذجين، النموذج الحديدي الموجود داخل الكبسولة الفضائية أو النموذج الطبيعي الأولي والمتمثل في السلحفاة الحقيقية والموجودة ضمن السلاحف الحديدية على الأرض الحقيقية.

من أعمال الباحثة: 23 سلحفاة حديديه بمقاسات قطريه 20 – 30 -40 سم، كبسولة فضائية مقاس 50 × 180 سم، سلحفاه حقيقيه، رمل، مساحة الأرضية 3×4م، دار الأوبرا المصرية، القاهرة، 2012.

العمل الفني الثاني:

اسم العمل: سهم الزمان

مقاس العمل: ثلاثة قطع مربعة الشكل معالجة برمل الأرض الممزوج بالألوان الأكرلك، الأولى بمقاس 50×50سم والقطعتين الأخرتين 20×20سم، أسهم حديدية، قطع حديدية.

وصف العمل:

ثلاثة قطع متراصة طولية تبدأ من الأسفل بالقطع الكبيرة ومثبتة بسهم متجه للأعلى وتليها قطع مربعة سوداء كتب عليها تاريخ 2012/12/15م وعليها تأشيرات خطية تشير إلى تعداد – القطعة الثالثة بالأعلى وعليها سهم متجه إلى الأعلى أيضاً.

تحليل العمل:

(تبدأ قراءة العمل من أسفل إلى أعلى) يوصف العمل حركة الزمان وانقضائه وفق نسق خطي يبدأ من المسافة الكبيرة والتي تسير إلى الزمن الكبير لعمر الأرض والممتد منذ ألاف السنين وسهمها يتجه إلى القطعة الثانية بالأعلى والتي تحمل تاريخ 2012/12/15م هذا التاريخ الذي يكمله التعداد الخطي بعدد ستة تخطيطات ليكمل التاريخ 2012/12/21م وهو التاريخ الذي حدده شعب ألمايا لنهاية العالم، ونهاية الزمان الأرضي، ومن ثم تليه القطعة الأخيرة العلوية ذات الحجم الصغير والتي تشير إلى الزمان المتبقي للكون وتحمل سهم متجه إلى أعلى أيضاً وفيه دلالة على استمرار الزمن في التقدم وعدم توقفه، إن حجم القطعة

الصغير هو دلالة على قصر الوقت المتبقي استناداً لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم (بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار إلى السبابة والإبهام)

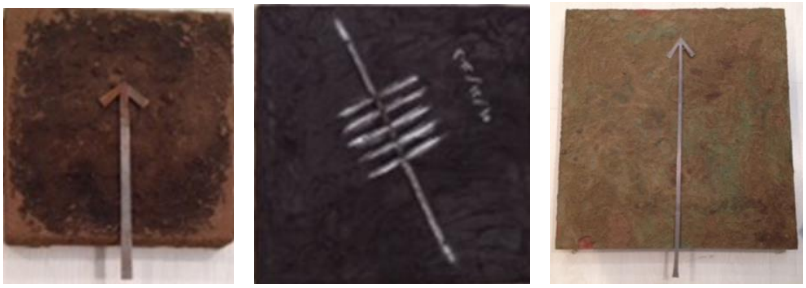

من أعمال الباحثة: سهم الزمان، مقاس العمل: ثلاثة قطع مربعة الشكل معروضة بشكل رأسي، معالجة برمل الأرض الممزوج بالألوان الأكرلك، الأولى بمقاس 50×50سم والقطعتين الأخرتين 20×20سم، أسهم حديدية، قطع حديدية.

النتائج:

1- تخضع بنية الأعمال الفنية التشكيلية على مر التاريخ لمفهوم الزمن وفلسفته.
2- يشكل مفهوم الزمن أحد الركائز الهامة التي تمثل بنية العمل الفني التشكيلي مما يثري المضامين الفلسفية والجمالية والتعبيرية بالفن المعاصر.
3- تغيرت طبيعة الأعمال الفنية المعاصرة عن ما سبقها من اتجاهات وأصبحت خاضعة لكافة الجوانب الفلسفية، وخاصة فلسفة الزمن.
4- للزمن في الأعمال الفنية التشكيلية التي تعتمد على الزوال أهمية كبيرة.
5- يقوم الزمن في الأعمال التشكيلية التعبيرية بدور رئيس حيث يرتبط بالجوانب النفسية للتلقي.
6- يزداد أو يقصر الاحساس بالزمن حسب طبيعة الأعمال الفنية التشكيلية، وبخاصة فنون الأداء لكون المتلقي يعد جزء من جزئيات العمل.

التوصيات: توصي الباحثة بالآتي:

1- المزيد من الدراسات حول فلسفة الزمن في فنون الحضارات لكونها تقوم على المشاهد المتسلسلة والمتتابعة التي تصور مواقف متتالية كل منها له زمنه.
2- المزيد من البحوث حول الأعمال الفنية القائمة على فكرة الزوال.
3- المزيد من البحوث حول انعكاس مفاهيم الزمن على الفنون اللحظية كفن الحدث وفنون الضوء وغيرهما.
4- إعداد دراسات بحثية مقارنة بين الاتجاهات الفنية المعاصرة لإظهار أهمية فلسفة الزمن في كل اتجاه على حده وفي مجالات الفن التشكيلي المختلفة كالرسم والتصوير والنحت والمشغولات الفنية.

References

1. Al-Alusi, H. a.-D. (1977). *Time in ancient religious and philosophical thought,July, April, September,*. Alam al-Fikr.
2. Al-Kholy, Y. T. (1990). *Time in Philosophy and Science.* Cairo: Egyptian General Book Authority.
3. Assab, M. M. (1989). *The influence of time and place on Egyptian graphic art in the works of (Al-Hussein Fawzi, Abdullah Gohar, Kamal Al-Ahsin), Master's thesis.* Faculty of Fine Arts, Minya University.
4. Ati, I. A. (1980). *The idea of time in Islamic thought during the fourteenth century (Ibn Sina - Al-Razi Al-Tayyib - Al-Maarri), Master's thesis.* Faculty of Arts, Ain Shams University.
5. Benton, W. (1973). *Encyclopedia Britannica* (Vol. 21). USA.
6. Demphis, B. S. (1996). *The Modern Concept of Space and Time.* Cairo: Egyptian General Book Authority.
7. Duan, & Preble, S. (1985). *Art forms.* New York: Harper & Row publishers.
8. El-Din, H., & Zaki, K. (1999). *Semantic Time.* Dar Gharib.
9. Farghali, A. A.-H. (1991). *Islamic Photography.* Al-Dar Al-Arabiya Al-Lubaniyya.
10. Ghoneim, S. M. (1977). *The concept of time among children.* World of Thought (July-August-September).
11. Hasab Alnabii, M. M. (n.d.). *The Time Between Knowledge and the Qur'an*. Cairo: Dar Al-Ma'arif.
12. Ibn Sina, S. A.-H. (1989). *Nine Treatises on Wisdom and Natural Things.* Cairo: the Fourth Treatise in Dar Al-Arab.
13. Ibrahim, A. R., & Zaki, M. (1992). Aspects of the contributions of the arts of movement and light to achieving the element of time in modern art. *Science and Arts Magazine fourth year, July*(3).
14. Ismail, E. E.-D. (1974). *Art and Man.* Cairo: Gharib Library.
15. Manzur, I. (1997). *Lisan al-Arab.* Beirut, Lebanon: Arab Heritage Revival House.
16. Mayrhei, H. (1973). *Time in Literature.* Cairo.
17. Muhammad, A. A. (1986). *Issues and Discussions of General Philosophy.* Alexandria: University Knowledge House.
18. Nasr, A. A. (1993). *Dealing with dimensions in the art of photography, Master's thesis.* Faculty of Fine Arts, Alexandria University.
19. New-Standard-Encyclopedia. (1991). *standard educational cooperation.* Chicago.
20. Parker, B. (1999). *Travel in Cosmic Time.* Cairo: Egyptian General Book Authority.
21. Ragheb, Y. N. (2003). *The potential of serial strip drawings as an introduction to enriching expression in photography, Master's thesis.* Faculty of Art Education, Helwan University.
22. Rush, M. (1999). *new media in late 20th century art.* new York: thamaes and Hudson.
23. Saleh, A. M. (1977). *Biological Time (July, August, September).* World of Thought.
24. Smith, E. L., & ring, L. (1996). *Visual ant in the 20th century.*
25. Sobhi, M. A.-S. (1995). *Multiple viewing angles in modern photography as an experimental approach to producing and training photography for students of the Faculty of Art Education, doctoral dissertation.* Faculty of Art Education, Helwan University.
26. Walker, J. A. (1992). *Glossary of Art, Architecture and design Since 1945* (3 ed.). Library Association publishing Ltd.
27. Zettl, H. (1990). *Sight Sound and motion applied media aesthetics* (2 ed.). California: Wadsworth, Belmont, .

Websites:

1. htpp://www.artandculture.com/arts/movement?movementId=1037
2. http://www.baiajg.com/moson/falsafah/u512cdms.htm
3. http://www.idwald/surrealismspaper(wep).htm1
4. http://www.plato.stnprod.edu/entries/time-experience
5. http:www.plat.stanford.edu/entries/time-experience
6. http:www.suhuf.net.sa/1999ja2/may/14/arl.htm
7. https://www.google.com/search?q=%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%84%D9%83
8. www.utm.edu/research/iep/t/philosopht#philosphy

The Philosophy of time in contemporary arts

Dr. Abeer Ahmed Al-Fatni[1]

Abstract

Fine art represents part of society's culture. The development of art was accompanied by the penetration of new worlds known as the fourth dimension. After art entered the boundaries of geometry and reduction; He began to break into the absurd, and the form and philosophy of art changed, moving from modernity to what came after it to contemporary. Transforming from a formal form into a symbolic form with philosophical implications linked to the light, audio and kinetic effects as they embody time, the concept became the master of the idea. The research aims to identify the concept of time and its types, then the philosophical concept of time and its reflection on contemporary art, through the analytical study of a selection of contemporary arts based on investigating the philosophy of time.

Keywords: philosophy of time, contemporary arts.

[1] **College of Designs and Arts / University of Jeddah - Jeddah / Kingdom of Saudi Arabia**